

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY  
  
3 8534 00991 3231

B  
1  
G  
1  
1

EGAG-99-B 1176 part

6/4



FROM THE  
LIBRARY OF  
THE  
AMERICAN UNIVERSITY  
IN  
CAIRO

من مكتبة  
الجامعة الامريكية بالقاهرة

٢٥



2

ГҮ

Л



BP

170

.645

1951

# الاسلام المقتدى عليه

بين الشيوعيين والرسماليين

تأليف

محمد الغنزي

الناشر

دار الكتاب العربي بمصر

محمد حسني الميناوي

القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربي

١٩٥١

١١٦

١٠٠  
ع ١٠

الطبعة الأولى { ربيع أول سنة ١٣٧٠  
ديسمبر سنة ١٩٥٠

الطبعة الثانية { ربيع ثاني سنة ١٣٧٠  
يناير سنة ١٩٥١

٧٥٥٤٧

٧

١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . . . »

« وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ »

## تمهيد

لأنحِب أن يرأى الناس بجهاد قننا به في سبيل الله ، أو تضحيات تكبدهاها  
لخدمة المسلمين ، فنحن نحمد الله أن كانت مغارمنا للحق ؛ لا للباطل ! ولئن  
مددنا أبصارنا فوجدنا طريق الرجولة مفروشا بالأشواك ، مضرجا بالدماء :  
فإن عزاءنا في الدنيا — إلى جانب ما نرجو في الآخرة — أن طريق الحياة  
والنكوص قد كلف أصحابه شططاً وأذاقهم ويلاً بعد ويل . . .  
وإنما يحزننا أن تقوم ضدنا حملة افتراءات لثيمة ، تتخذ من عملنا للخير  
دليلاً علينا ؛ ومثاراً للنيل منا . . .

إذا دعونا إلى إطعام المحروم ، وتشغيل العاطل قالوا : شيوعيون .  
وإذا بذلنا من كسبنا الحرراً قالوا : متصلون بكذا وكذا .  
وإذا ناقشنا بالحسنى قالوا : خطرون على الأمن . والغريب أن مادعونا  
إليه منذ سنين ، أصبح اليوم منهاجاً تنادى به أحزاب وهيئات ! فعيينا أننا  
سبقنا الزمن . . .

وأننا بذلنا حيث يبخل غيرنا . . .  
وتقدمنا عندما نكص كثيرون . . .

وعيينا أننا نريد خدمة الإسلام بأساليب العصر الجديد . بينما يظن فريق  
من الناس أن هذه الخدمة ممكنة بالكهانة الجامدة ، والروح الباردة ، والقراءة  
الخالية من الفقه و . . . الأفكار التي سادت عهد المماليك !!!  
وعلى كل حال فنحن ماضون إلى غايتنا من عمل للإسلام وعمل للأمة .  
سائلين الله أن يرزقنا التوفيق والسداد ، في هذا اللون من الجهاد .



## مقدمة

كادت هذه الصحائف تضيع ، في أثناء الأزمة العصبية التي أصابت الفكر والقلم ، وطمست الحقوق والحريات ، على عهد الاحتلال الداخلي للإدارة المصرية ، أيام حكم الأقليات السياسية سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٩ ، كانت سنوات عجافاً ، تعرض فيها الشرف والضمير لأزمات ساحقة ، قتل من قتل من الرجال ، وسرق ما سرق من الأموال . ولئن ذكر التاريخ أن أرض مصر شهدت عصرًا للاضطهاد الإسرائيلي أيام الفراعنة ، ثم عصرًا للاضطهاد المسيحي أيام الرومان ، فإنه لن ينسى أن يسجل كذلك قصص الخزي والعار والحديد والنار ، التي وقعت لأنصار الإسلام ودعاة نظامه ، أيام الأقليات الحاكمة بأمرها في هذه البلاد المحروبة الحائرة . . .

ولقد استطعنا - والله المنة - استنقاذ هذه الصحائف من برائن العدم ، رغم أن كثيراً من غيرها ضاع في خلال الإرهاب المنظم الذي خرب البيوت وفتح المعتقلات ، الإرهاب الذي يعدّ حيازة مجلة صدرت تحت سيطرة الرقابة جريمة تقذف بمرتكبها في ظلمات السجون ! لأنها تصرّح بأن الإسلام أساس لحكم يقوم على الحرية والأخوة . . .

وكان في جملة التهم التي وجهت إلينا - في غير حياء - أننا شيوعيون ( كذا ) . كأن كل دعوة للعدالة الاجتماعية لا تجد لها تفسيراً في منطق لصوص الحكم إلا أن ترمى ذوبيها بالإفك ، وتفصل بينهم وبين الإسلام .

والإتهام بالشيوعية كالاتهام بالرأسمالية ، أمر نضيق به وتوسم في قائله سوء الفهم أو سوء النية أو هما معاً .

ولقد نشرت في الكتابين السابقين لهذا الكتاب بحوثاً مستفيضة عن حقيقة النظام المالي في الإسلام ، أو ما أسميناه على سبيل التجوز « الاشتراكية الإسلامية » . وأستطيع القول أننا أسخطنا الرأسماليين والشيوعيين جميعاً بهذا النهج الذي جنحنا إليه . إذ كنا أقدر من الشيوعيين على تجريح الرأسمالية وإصابة مقائلها ، وكنا في الوقت نفسه أقدر من الرأسمالية على مكافحة الشيوعية وسد الأبواب في وجهها . . .

### موافقات ومفارقات

إن الإسلام عقيدة ونظام . والنظام في ديننا يتبع العقيدة . ويقوم على خدمتها . أو هو امتداد مطلق لآثارها وفضائلها ، فهو تابع لها أبداً . وقد يأخذ أشكالاً مختلفة على مر الأزمنة ، بيد أن ذلك يشبه اختلاف الوسائل مع اتحاد الغاية . !

× وقد يظن السطحيون أن وجود مبادئ معينة في النظام الإسلامي قد تميل به نحو اليمين أو اليسار ، وذلك خطأ ، فإن مبدأ الملكية مثلاً قد يشترك في الاعتراف به النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي . وتحريم الفائدة الربوية قد يشترك فيه النظام الشيوعي والنظام الإسلامي ، وليس معنى هذا أو ذلك أن الإسلام رأسمالي أو شيوعي ، إنه منهج مستقل يستقى من طبيعته كدين ، ثم يعضى في مجراه المرسوم لنفع الناس وحماية مثلهم العليا . ×  
والحالة الاجتماعية التي نعيش فيها تفرض علينا أن نذكر عن الإسلام هذه الحقائق التالية :

- (١) أنه لا يعترف بملك من حرام ، ولا بكسب من سُحت .
- (٢) أنه لا يبيح معاوضة الجهد الشاق بأجر بخس ، ولا مكافأة العمل التافه بأجر كبير .

١ (٣) أنه لا يبيح التعطل والنسول والقوضى ، ويعدّ الحكومة مسئولة عن بقاء هذه الآفات .

\*\*\*

والاشتراكية الإسلامية تعتمد المبادئ الرفيعة أولاً ، ثم تقيم الأشكال المادية المناسبة لها ، وتستعين على ذلك بقوة القانون . فالأخوة العامة مبدأ . والدولة مسئولة عن تنفيذه وعن هدم أى وضع مادى ينافيه .

والترف مرض اجتماعى ، والدولة ملزمة بأى تشريع مادى يمنعها . والفضائل الإنسانية ضرورة لا بد منها . والدولة مسئولة عن القوالب المادية التى تصوغها لحفظها .

وقد يتقاضاها ذلك أن تقنن على النحو الذى تسير عليه روسيا أو أمريكا لكن هذه القوانين لن تكون روسية ولا أمريكية ما دام الدافع إليها والغرض منها إسلامياً مجرداً .

## أمام الخطر الأحمر

لما قامت الحرب العظمى الأخيرة ، وانضمت روسيا إلى معسكر الحلفاء ، انفتحت مغاليق الشرق الإسلامى أمامها ، وتبادلت دوله التمثيل الديبلوماسية معها .

وقد تولد عن ذلك الاتصال خير وشر ، فإن القارونية الكانزة توجست سوء على مستقبلها ، ففكرت فى أن تخفف من غلوائها ، وأن تغل قليلاً يدها المبسوطة بالأذى للطبقات السكادحة . غير أن هذه النوايا الحسنة لم تترجم بعد إلى ميدان الواقع المحسوس ، فكان هذا النظام العتيق يشبه اللص الذى ينوى المتاب مخافة السجن ، ثم يغريه ضعف الملاك وغفلة الشرطة فيظل على

إجرامه لا يتحول عنه . ولا ننكر أن طائفة من الإصلاحات قد تمت ، وهذا جميل ، ونريد المزيد ، فالعطشان الذي تبل صداه قطرات الماء لا تنفع غلته إلا النطاف الصافيات ، وهما هي ذى روسيا تغزونا ثقافياً ، وقد تحاول غزونا حربياً ونحن — وحدنا — للأسف الذين تقدم الحصانة النفسية والمادية ضد أى غزو أجنبي . فعندما أعجب بعض شبابنا المثقف بالشيوعية ، أريناه — من نظامنا الإسلامى — العناصر المقابلة والمغنية عن المبادئ الأخرى . ولم تصدر فى كتاباتنا إلا عن حب عميق للإسلام وإدراك تام لحقائقه وأغراضه . فالدين كفضائل نفسية وتكافل اجتماعى هو محور نشاطنا وأساس دعايتنا .

ونحن ننقم على الشيوعية أنها تكفر بالدين كفر الجاحدين ، كما ننقم على الرأسمالية أنها تكفر بالدين كفر المنافقين ... فالأولى لا تعترف به ، والأخرى لا تعبأ بتعاليمه ، ولا ترى فيه ما يزرعها عن مظالمها الفاجرة . ! !

ومع أننا نقدر لكلا العدوين خطره ، إلا أننا مكرهون على ملاقاته أدنى اخصوم إلينا . والشيوعية عدو واقف على أبواب البلاد يتربص ، والرأسمالية عدو داخل الحدود يعربد ويفتال .

إننا لنعتقد أن فى تطهير البلاد من المظالم الاقتصادية المؤلمة حماية لها من الاستعمار الأبيض والأحمر على السواء .

وهما قد أصبحت الاشتراكية عنواناً بارزاً لكثير من البرامج التى تطالعنا بها الأحزاب . وقد ترتاب فى صدق نفر من هؤلاء المتعلقين بأهدابها ، إلا أنه على أية حال نصر للجماهير الفقيرة يصف أقدامها على أوائل الصراط المستقيم . ولعل الاشتراكية الإسلامية تصبح نزعاً متغلغلة ، تجيش بها نفوس العامة والمخاصة ، وتذك آخر ما أمامها من معازل النفاق والطفغان . !

## إخراج لدين الله ...

الموضع الحالي

XX بين الشرق والغرب الآن حرب باردة قد تتحول في أية لحظة إلى حرب طاحنة . وقد بدأت الولايات المتحدة في الإعداد الواسع لهذا الصراع القائم ، فها وجدت حلفاءها في « أوربا » يعانون ضوابط شديدة ، وأحست أن هذه الأزمات المستحكمة قد تمهد لنشر الشيوعية وتفوق روسيا عليها تبعاً لذلك ، سارعت إلى إرسال القناتير المقنطرة من مالها لتدعم المستوى الاجتماعي والاقتصادي هناك . ولم تفكر قط - كما فكرنا نحن - في الاعتماد على رجال الدين لمحاربة الشيوعية ، بل العون المادي أولاً . . . وقد يكون آخراً ، وللدين هناك رسالة تمضي على هامش الحياة ، وتلزم حدوداً لا تعدوها . . . أما في الشرق الإسلامي فالعون المادي عامل ثانوي في الإصلاح والتعمير . وعلى الحق من رجال الدين أن يثربوا بأن الشيوعية فساد وإلحاد وكفى . ! X

بلى إنها كذلك . ولكن الشعوب تتلوى من الألم في دائرة الثلاث المتوطن المعروف ، ثلاث الفقر والجهل والمرض . والإسلام لا ينجس صوته بإزاء تلك الأحوال المنكرة . وقيل أن نطعن على دواء ينخدع به العميل المضني ينبغي أن نلتمس له من عندنا أسباب الشفاء والصحة . ! !

إن سياط الرأسمالية الغاشمة تكوى الجلود . وتجاهل هذه المأساة معناه أن حبلول الدين تدق في مواكب الظالمين ! ولن يعود ذلك على الدين إلا بأوخم العواقب . وقد يطول به عمر الظلم ساعات أو أياماً . . . ثم تعمل سنة التطور عمياً ، فتهدى القمم الشاخحة ، وتنزاح العوائق المصطنعة ، وتستأنف الأجيال سيرها في دعة وأمان .

The Party and the masses

إن قصة الدُّبَّة التي قتلت صاحبها تختلف عن قصة الرجال الذين يخدمون  
الدين بهذا الأسلوب الزرّي ، فإن الإخلاص هنا مفقود في نفوس لا تتحرك  
إلا لشهواتها ، ولدى أناس لا يذكرون الله إلا قليلا !  
وسنظل ماضين على هذا السنن الرشيد في إنصاف الدين من مستغليه ،  
وتخليص الدنيا من المستحوذين عليها بالباطل ، وتكوين جيل من الأحرار  
الذين يؤمنون بالله وحده ، ويكفرون بالطواغيت ؟

محمد الغزالي

(١)

الحضارة بين الإيمان والاحقاد

لا يختلف أحد مع نفسه أن العصر الذي نعيش فيه عصر طغيان المادة  
واستحكام أمرها وسيطرة نوازعها الطبيعية والخبثية على تقاليد الحياة وقوانينها .  
ومعنى بالمادة تغليب البدن على الروح وتغليب الدنيا على الآخرة ، أو بتعبير  
أصرح جحود ما وراء عالمنا المحسوس من حياة أخرى في يومنا القريب لو في  
غدنا البعيد ، وإطراح الأديان كأفكار تبتدىء وتعيد حول هذه المعاني . . . !  
وإن كان لا بأس من قبول الأديان كوصايا خلقية ونصائح شخصية  
ومسكنات اجتماعية !! أما الإيمان بالله إيماناً ينطوي على الجِد والتوقير والملاحظة ،  
ويرتقى إلى مصاف المسائل التي تهتم بها الدول وتعتد لها المؤتمرات على نحو  
ما نسمع به ونقرأ عنه ، فلا . . . .

وأما الإيمان باليوم الآخر إيماناً يقذف في الأوهام أن العمران البشري  
إلى انقراض ، وأن النشاط الإنساني منقلب يوماً ما إلى حساب دقيق ونقد عميق  
كما يقول الشاعر :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع !  
فهذا أيضاً كسابقه . لا يكثرث العالم به ولا يستعد له . بل لعله شيء يهزأ  
به ويسخر من أصحابه . . . .

والأديان — برغم ما يُزعم لها من منزلة تقليدية — أقصيت تماماً عن  
مراكز التوجيه الأعلى للإنسان

والدنيا الآن تسير بقوة جارفة إلى غير غاية ، وهي مشغولة أعظم الشغل  
بالوقود الذي تستهلكه في هذا السير من غذاء وكساء ومتاع وشهوة وذهب  
وفضة ، وما يستتبعه الحصول على هذا الوقود من خصام وسلام واغتيال



واحتيال وانقسام وانسجام . وهذا هو عمل الدول قديماً وحديثاً في عصبة الأمم  
ومجلس الأمن .

وقد سخر العلم تسخييراً ناجحاً في هذه الآفاق كلها ويوشك أن تأخذ  
الأرض زخرفها وتزدان ويظن أهلها أنهم قادرون عليها . . . ثم ماذا بعد  
ذلك ؟ إن الأفتدة لما فرغت من الإيمان بالله واليوم الآخر ، امتلأت إيماناً  
بأمور أخرى اختلقتها اختلاقاً للحقيقة — كما يقول العلامة « هارى أرسون »  
في كتابه « كيف تكون رجلاً حقاً ؟ » — ( أنه مامن إنسان يستطيع أن  
يكون غير مؤمن ، فقد ركب الإنسان من الناحية النفسانية بحيث أصبح  
مضطراً إلى الإيمان بالله أو بغيره ! ومتى مات الإيمان الإيجابي فإن الإيمان  
السلبى يحل محله ، يتعلق بالمستحيلات أكثر من الممكنات ؛ وبالآراء التى  
تجعل منا ضحايا للحياة لاسادة لها ، وبالفلسفات التى تدفعنا إلى مثل الحالة  
النفسية التى كان « رابليه » يجود فيها بأنفاسه وهو يقول : أسدلوا الستار فقد  
انتهى تمثيل المهزلة ) .

وهذا الذى ذكره « أرسون » صحيح فالإنسان إن لم يعبد الله عبد غيره ،  
ولن يتحرر البتة من العبودية لشيء ما : « إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا  
وَتَخْلُقُونَ إِفْسَاكًا ! »

وفي التدايل على هذه الحقيقة يذكر المؤلف أن صديقاً « لترجينيف »  
كتب إليه يوماً : ( يبدو لى أن وضع الإنسان نفسه فى المحل الثانى هو كل  
مغزى الحياة ) فأجابه قائلاً : يبدو لى أن اهتداء المرء إلى ما يقدمه على نفسه  
ويضعه فى المحل الأول هو كل مشكلة الحياة . . .

فالذى يقدمه الإنسان على نفسه كأننا ما كان هو ما يؤمن به . ومتى بذل  
الإنسان إيمانه من قلبه فقد شد زناد النشاط الإنسانى اه

ونحن نأسف لأن الأجيال الحاضرة ضلّت سبيل الإيمان الصحيح ،  
واستنفدت قواها في باطل بعد باطل كما نأسف لأنها لما عجزت عن التسامى  
بالغرائز السفلى استقامت لها وهامت فيها وقررت إطلاق زمامها لتعربد  
كيف تشاء .

وعندي - أن هذا الارتكاس الروحاني يفوت ثمرات التقدم العلمي  
كلها ، فخير للناس أن يمشوا على الأرض وهم أطهار ، من أن يطيروا في الجو  
وهم لصوص ، وخير للأرض أن تكون معابد مضاءة بالشموع ، من أن  
تكون مراقص مضاءة بالكهرباء .

### على من تقع التبعة .. ؟

إن المادية القائمة على نوازع الأثرة وقوانين المنفعة واتهاز اللذائذ  
واشترائها بأي ثمن ، قد كسبت المعركة ضد الأديان دون أن تجد أمامها مقاومة  
تذكر . ونعني بالأديان ما كان له أصل محترم من وحي السماء . أما ما يسود  
الهند والصين واليابان وغيرها من وثنيات أخذت سمّت الدين وصيغته فهي  
أفكار وعواطف أرضية لا مكان هنا لمحاسبتها .

وإنما نعرض لليهودية والمسيحية ... ثم نتكلم عن الإسلام . ولما كان  
التقدم العلمي والاتجاه المادي قد طفر طفرته الكبرى في الغرب حيث توجد اليهودية  
وتسود المسيحية . ولما كان الإسلام في هذه الفترة محسوراً في بلاده بين همّل  
لا يذكر شيئا ، ولا يحسنون عملا ، بل كانت شأنه الحقائق طامس المعالم  
راكد التيار . . فقد انفردت المادية بالديانتين القديمتين فافترستهما ونظرت  
في شرق الأرض وغربها فلم تسمع صوتاً يتحداها فظنّت أن الأمر قد استتب لها  
ولم تحسب في الإسلام قوة يستطيع بها البقاء ، بله زيادة من قوة يستطيع بها المغالبة

مسألة توحيد الله  
بمسألة توحيد  
الله

والفجاح . إذ كانت جماهير المسلمين أشبه بالغيوم الكثيفة حول شمس الإسلام ،  
تميت شعاعه وتردّ نهاره ظلاماً طويلاً .

ومن اليسير أن ندرك ماذا انهزمت اليهودية والنصرانية أمام الغزو المادى ؟  
فإن اليهودية فقدت عناصرها المقومة لها كدين ينعش الأفتدة ، ويشرق  
على النفوس بالحنان والرحمة ، ويرطب من جفاف المعاملات والأنظمة الأولية  
التي تقوم بين الناس . بل على العكس كانت هذه الديانة ، وكان أصحابها ،  
مظهراً للأحقاد الموروثة ، والقسوة المطبوعة ، والتشبع من الحرام قبل الحلال .  
وأصبحت اليهودية في العالم لا وحيّاً من السماء هدفه الهداية ، بل صلة نسب  
أو آصرة دم بين فريق من الناس يشتغلون بجمع المال وأكل الربا وسرقة  
الجهود وإشغال الحروب وحبك المؤامرات . فهل مثل هذا الدين بعد هذا  
الانحراف يقف عائقاً أمام المادية الجارفة ؟ كلا . بل إننا نستطيع القول أن  
أبناءه كانوا عوناً لها وتمهيداً أى تمهيد « فيما تقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا  
قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال  
تطلع على خائنة منهم » .

أما المسيحية فإن جوهرها الأول شابه من العوج والالتواء ما أفسد عليه  
حاضره ومستقبله ، فإذا علمت أن التقدم المادى اعتمد في تفوقه على العقل وآفاقه  
الروحانية . وأن المسيحية تسرب إليها من العقائد الدخيلة ما يجعلها تصادم  
التفكير الحر ، عرفت ولا شك آخرة ما يكون بينها وبين العلم من صراع .

(١) ففكرة الألوهية تبدأ تثليثاً ؛ وتنتهى توحيداً - على غير منطلق -  
وقد سرى هذا إلى المسيحية من ديانة قدماء المصريين ومن البوذية والهندوكية .  
« وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين  
كفروا من قبل »

(٢) وفكرة القرابين التي تقدمها القبائل المتوحشة - حتى عصرنا هذا - إلى آلهتها بغية إزجاء شكر أو دفع ضرر. سرت إلى هذه الديانة التي اعتبرت المسيح القربان الأول، صلب فداء لخطايا آدم وأبنائه. وبذلك انهدمت قاعدة العدل في الجزاء، وصار من حق الخطائين أن يرموا بأحلامهم على القربان المقدم فوق مذبح الخرافة « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم. وما هم بمحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون »  
وعندما تكون جملة العقائد في دين ما مقتبسة من أساطير الأولين وأوهام الأقدمين، فكيف تستطيع الثبات في عصر التناقض العقلي الأخاذ. أو مساوقة الحضارة في طفرتها البعيدة؟

لذلك تراجعت فكرة التدين وعاطفته في الغرب وما يتبع الغرب من أقطار الدنيا التي عنت له. واستأنفت المادية سيرها أو قفزها هنا وهناك.

### مواقف نائية . . . !

وقد كان موقف المسيحية في أوروبا وأمريكا مثلاً صارخ الدلالة على انهيار المقاومة وشناعة الاستسلام  
فالكنيسة في الميدان الاجتماعي فشلت في محاربة الزنا .  
والتحلل الخلقي من هذه الناحية بلغ مداه ، وقد قرأنا في الإحصاءات الأخيرة أنه لا توجد فتيات أبكار بعد سن الرابعة عشرة . وفي إحصاء أمريكي أن ٤٨ ٪ من إحدى مدارس البنات وجدن حبالاً . . . وأمارات الفوضى الجنسية لا حصر لها . بل إن هذه الفوضى أصبحت الوضع المشروع ، على حين اعتبرت العفة النفسية شذوذاً جنسياً .  
هذا كله والكنيسة مذهولة عنه بما ستعرف بعد .

وفي الميدان الاقتصادي يعتبر الربا روح المعاملات المالية ، وشرايين الحياة المنبثة في المصارف والأسواق والأعمال العامة والخاصة .

ولم يرسل الله واحداً من أنبيائه بياحة الزنا أو الربا . ولكن الكنيسة سلمت للمادية الطاغية بما تريد ، وولت من الميدان هاربة ، وعميت عما أمامها من منكر ، وشغلت بأمر آخر ؛ هو محاربة الإسلام والكيد له ! .

ففي مكاتب وزارة المستعمرات ، وبإيحاء طغمة من الموظفين الذين لا يرجون الله وقارا ، ولا يحترمون له ديناً . وإشباعاً لنزوات الفتح والتوسع والاستغلال ، ترسل بعثات التبشير لتمكن لاجلثرا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الطامحة في الشرق الراغبة في قتله . ورجال الكنيسة في الولايات المتحدة يجمعون بأنفسهم التبرعات ويرسلونها إلى إسرائيل كيما يشدوا أزرها في عدوانها على المسلمين وتنكياتها باللاجئين .

والصحيفة الرسمية لبابا روما تظهر عطفها على اليهود ، وتتهم العرب بأنهم ما يزالون مستمسكين بدينهم لمخلصين لتقاليدهم ( كذا ) وبأن زعماءهم الذين تخلصوا من قيود التعصب نفر قلائل لا يعتد بهم . وحماسة المسيحية الغربية لم تكن أقل — بل كانت أشد — من حماسة الشيوعية الملحدة في انتزاع فلسطين من ذويها ، وطردهم عنها ، وتسليمها غنيمة باردة للصهيونيين .

فانظر إلى هذه النزعة الصليبية كيف تناست واجبتها في محاربة الفجور القريب منها ، ولم تنس حقدتها الأعمى في محاربة الإسلام وأهله ! وتأمل كيف تستفيد المادية من هذه السفاهة .

وفي الأيام الأخيرة سمعنا صيحة عن ضرورة اتحاد المسيحية والإسلام لمكافحة المبادئ الهدامة ( ! ) وهي صيحة مريبة في أسبابها وأساليبها ونتائجها ؛ بل هي قصة سخيفة التأليف والإخراج .

فالإسلام الذي خرج ظافراً من محن الهجوم التتري والصلبي قديماً ،  
لن يعز عليه التخلص من برائن الشيوعية الشرقية والرأسمالية الغربية في هذه  
الأيام دون تحالف مكذوب مع واحد من أعدائه اللثام .

## الإسلام والأديان التي سبقته

لم يكن هناك موضع لهذا اللدد في الخصومة . وما كان يسوع قط  
لدين ما أن يسخره الإلحاد في محاربة دين آخر . ورأى الإسلام في عيسى  
ابن مريم أكرم وأشرف من رأى اليهودية التي تتماقها الكنيسة الآن على  
حسابنا وتظاهر الإلحاد معها على حربنا .

إن الإسلام يحترم موسى والتوراة التي أنزلت عليه ، ويحترم عيسى  
والإنجيل الذي جاء به . ولو كانت المنافسة بين الأديان قائمة على الرغبة المحضة  
في هداية الناس والإخلاص العميق في تقريبيهم إلى الله لما بقي بينها مجال  
للكيد الرخيص والعداوة الدامية ، ولكن الإسلام أخذ على ما سبقه من أديان  
أنه يؤمن بهم ويكفرون به : « ها أتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ،  
وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم  
الأنامل من الغيظ . . . » ، كما أخذ على هؤلاء أن إيمانهم بأديانهم لا يجاوز  
ألستهم ، فلو قام الآن موسى لأسكر على اليهود صلتهم به ، ولو نزل اليوم  
عيسى لحارب الفسق والظلم في أوربا قبل أي مكان آخر ! .

ومن هنا تساءل القرآن الكريم عن سر هذه النعمة التي أكرمها أولئك  
الصفهاء : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل  
إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاستموتون » .

على أن اليهودية لا تستهدف هداية الناس والتبشير بمبادئها ولا تحب أن

يدخل في حظيرتها أحد ، فهي آصرة دم لا علاقة وحي .  
والله - في تعبيرها - رب إسرائيل قبل أن يكون رب العالمين . فهل  
هذا القصور يعطيها حق الحياة والتوسع ؟ .

وقد علمت ما في المسيحية من غموض وأن طاقتها محدودة جداً في ربط  
البشر بالله يرتجى ثوابه ويتقى عقابه ، لأن الألوهية شركة شائعة بين ثلاثة ،  
ولأن عقيدة الفداء تغض من حقيقة العدل الذي يضبط الأعمال . ولعل هذا  
سر شيوع الفساد في الغرب إلى حد عز علاجه .

### - الإسلام هو القيم الأكبر على الروحانية في العالم -

ولو أن المسيحية بقيت كما بدأت ، لا ريب فيها ولا دخيل عليها ، لما  
أمكنها أن تقوم بالوظيفة التي نديت نفسها لها، ووظيفة توجيه العالم أجمع وإرشاده .  
ذلك لأنها ديانة محلية موقوتة زمان ومكان . وعيسى عليه السلام ليس إلا  
واحداً من أنبياء بني إسرائيل ، والإنجيل ليس كتاباً مستقلاً بالتشريع ،  
ولكنه أدنى إلى أن يكون ملحقاً بالتوراة تابعاً لها .

ومعنى أن النصرانية دين موضعي ، أنها لم تأت من عند الله - وبها  
الخصائص التي تكفل نجاحها كدعوة عامة .

وإذا مدت شبكة كهربائية في قرية من القرى وزودت بالآلات المحدودة  
لهذا الغرض ؛ فمن العبث أن ننتظر من هذه الشبكة إضاءة عاصمة كبرى فضلاً  
عن إضاءة أقطار وأمصار .

وقد جاءت النصرانية أول عهدنا تظليفاً لتساوة المجتمع اليهودي ورحمة  
بالجاهل الشقية فيه ، ولم تزود بذخر روحي لأكثر من هذا الغرض القريب !  
وقد كلفت نفسها العنت لما حاولت أبعد من غايتها . فلما أصرت على القيام

بدور ليس لها ، وصادمت الزحف المادى كانت كالذى يدفع براحتيه سيل  
العرم ، فاتتهى الأمر بها إلى الفشل ؛ بل إلى العرق ، ولو حكينا أحوال الصراع  
بين المسيحية واتجاهات البشرية الخاطئة أو الصائبة لوجدنا أن تصرف المسيحية  
أضر بالأديان أكثر مما أضر بهذه الاتجاهات ، ولعل الظروف التى دار فيها  
هذا الصراع هى التى خلقت أزمة الروحانية فى العالم .

ونحن — والله — نكره أن تقوم عداوة دامية بين دين ودين . بيد أننا  
حريصون على أن يأخذ الإسلام نصيبه الكامل فى عرض حقائقه وبيان  
مناهجه ، وعلى أن يعطى الفرصة كاملة لينظم أحواله داخل بلاده وخارجها  
على النحو الذى يرتضيه . وإن كنا نذكر فى معرض السخط والاشتمزاز أن  
الصليبية الغربية تأبى ذلك كل الإباء ، وتوحى إلى أوليائها من الحكام فى  
الشرق الإسلامى أن يقفوا بالمرصاد لكل دعوة من هذا القبيل .

إن البشرية لا يجوز تركها من غير دين يشرف على تهذيبها ويعلمها صابحاً  
ومساءً أن لها رباً يجب أن تعبده ، وأن لها آخرة يجب أن تستعد لها . وقد  
اصطفى الله الإسلام وكلف أُمَّته تكليفاً حاسماً أن تنهض بهذا العبء ، وقضى  
قضاءً مبرماً باعتبار الديانات السابقة قد استنفدت أغراضها وأنها أعجزت من أن  
تقود العقول وتحكم العواطف فى دنيا تتسع آفاقها وتزداد انفعالاتها يوماً بعد  
يوم ، فلتفسح الطريق لغيرها :

يا بارى القوس برىاً ليس يحسنه لانظلم القوس . أعط القوس باريها

وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — قد  
أدوا واجبهم ودعموا الجانب الروحى من هذا العالم جهد استطاعتهم ثم أسلموا  
الزمام إلى خاتم الأنبياء — محمد — عليه الصلاة والسلام ليمضى على السنن  
بقوة أشد وبصر أحد ، فلماذا توضح العوائق أمامه ؟ .



وها قد مضت أربعة عشر قرناً ، ثم عادت إسرائيل مرة أخرى باسم التوراة تريد الحكم والسيادة . فهل سمعت أولمحت في عودة إسرائيل قبساً من فرقان أو قطرة من حنان ؟ أم هو التمهيد للعسف والطغيان والكبر والعدوان ؟ وكذلك قيل لكنايس الغرب : استيقظي . ثم أصغينا للدجالين من ساسة أوروبا يبشرون بالدين ، فما كانت يقظة الكنيسة ولا انعطاف الدولة المفاجئ إليها إلا نفحة من نفحات الدولار الأمريكي لتجنيد الدم والضماير في الحرب المرتقبة ! ولم هذه الحرب ؟ لكي تسود المادية في العالم كله ، سواء انتصرت الشيوعية أو الرأسمالية . فالصراع بينهما ليس نزاعاً بين الكفر والإيمان ، ولكنه غلاب بين لونين من ألوان الطغيان .

\*\*\*

لقد فقدت الأديان استقلالها في الغرب وسخرتها نزوات شتى . فاليهودية أضحت صهيونية معتدية ، والمسيحية أضحت استعماراً خبيثاً . ويراد بالإسلام أن يفقد كذلك شخصاته ومقوماته وأن يعيش في كنف أنظمة أخرى ، تخالف حقيقة ثم هي إلى ذلك تحالف وتسالم الصهيونية المعتدية والصليبية المحتلة . !

وهيئات ! فطبيعة هذا الدين تنطوي على روح المقاومة والعناد . ومن الظلم القبيح للمسلمين بل من الإساءة البائسة لهذا العالم المسكين أن يحرم من وجود أمة تحترم كتاب ربها وسنة نبيها ، وتحتمك إليهما فيما يعرض لها من أحداث وشئون . وتعتبر التدين شرفاً لا عاراً والإيمان بالله واليوم الآخر جداً لا لغواً . إن أوروبا تأتي علينا ذلك . ونحن نأبى إلا ذلك . وسنرى ما يكون .

على أن هذا الإباء لا يأتي من الخارج فقط . فبين ظهر انبعاث أقوام يضيقون بحكم الله ويحتكمون إلى الطاغوت . والسلطة القائمة في بلاد الإسلام تقع

في أيدي هؤلاء، فعلاً . وقد أوقعت بالإسلام أبلغ الضرر .  
والوصف الصحيح لهذا الدين الكريم أنه الآن <sup>ثارت</sup> عقلي مجرد ، وأنه  
في بطون الكتب موجود بأكمله — وقد تلتصق به أشياء غريبة — يعرفها  
النقاد بسهولة ولا تحسب خطراً عليه .

أما في الميدان العملي فقد انتقضت عراه واحدة بعد أخرى . وبدأ  
الانتقاض بفساد الحكم ، فرزى المسلمون بألوان من الاقتيات والجبروت بعد  
بقاء الإسلام معها معجزة . ولولا ما في الإسلام من مناعة ذاتية حصنته  
وحصنت معتنقيه ضد عوامل الفناء لذهب وذهبوا هباءً منثوراً .

وفي كل عصر تفور الروح الإسلامية في مشاعر رجال وشعوب فينهضون  
ليسطوا رواقها على المجتمع والدولة . ولكن الحاجة ماسة إلى عمل منظم قوى  
يخضع سياسة الحكم وسياسة المال لتعاليم الدين خضوعاً لا فكاك لها منه مهما  
اختلفت الأوطان وتناولت العصور .

### ظلمات بعضها فوق بعض

قد يصاب المرء في عنفوان قوته واشتداد ساعده بأمراض خطيرة ، فيكون  
له من سلامة البدن وتوفير المناعة ما يحفظه من سطوة الأوجاع الطارئة وسرعة  
فتكها . وقد تبقى لهذه الأمراض آثار كامنة تنتهز أوقات الضعف والعجز  
فتعاود هجومها وتستأنف فتكها . والدول كالأفراد في هذه الأحوال . قد  
يعتري الدولة خلل خطير في بعض شئونها ، لا تبدو آثاره على عجل لأن هناك  
من روافد القوة وعوامل البقاء والنماء ما يغالب هذه الأسقام العارضة . فإذا  
تبدلت الأمور ، وضعفت أسباب المقاومة ، ظهر العوار الخفي وترادفت أضراره  
وتلاحقت أوزاره . !

وقد تماسك التاريخ الإسلامى فى القرن الأول لما رمى بسينات الملك  
المضوض والحكم الأموى الغاشم ، فلم يتحطم كيان الإسلام ولا انهارت دعوته  
إذ كان إشراق العقيدة وعمق الإخلاص وروح الجهاد وتوفر جمهور كبير من  
الصحابة والتابعين على خدمة الدين - ولو فى ظل الأثرة الباغية - كان لذلك  
أثره فى بقاء موجة الفتح تفتيح وتوسع دائرتها دون أى توقف . وكان العملاق  
الإسلامى الفارع - برغم ما حمل من أثقال الحكام المجرمين - قادراً على  
الضرب فى الأرض وتحرير عشرات من الأمم والشعوب التى أكلمها الكفر والظلم  
بيد أن إلحاح العلل وتلاحق الأزمات على الإسلام انتهى به إلى ما نرى  
ونسمع ، فبقيت سينات الحكم الفاسد وأدبرت أسباب العافية والقوة .

والفساد الذى أصاب سياسة الحكم هو نفسه الذى أصاب سياسة المال  
بدأ خفيف الوقع - وإن كان غليظ الدلالة - فتحملته الأمة فى شبابها كما  
يتحمل الرجل العامل وعكبة لا تعرف ل سيره ولا تعطل وظيفته . وكرت الليالى  
على هذا الاضطراب الاقتصادى فى بلاد الإسلام . فإذا بمعين القوة ينضب  
لقله موارده ، وإذا بأعراض الداء تستفحل ، وإذا بالأمة الإسلامية مقعدة  
فى طريق الحياة الطويل ، لا تستطيع حركة .

إن دينها العظيم تعمل فيه جرثومتان خبيثتان من ديكتاتورية الحكم  
ورأسمالية الاقتصاد ،

ومعروف أن هناك طائفة واحدة من الناس هى التى تستفيد من إفساد  
دين الله ودنيا الناس . وهى التى يهيمها أن تفسد سياسة الحكم والمال بل إنها  
لتضع القمامة التى تتوالد فيها جرائم هذا الفساد العريض ثم تتعبد توربها  
إلى حيث تشاء .

ومعروف أن الإسلام فى فتوحه الأولى اكتسح هذه الطائفة وأسقط  
جاهها فى فارس والروم .

فلما أراد معاوية أن يتجه بشكل الحكم الإسلامي إلى غير ما عرف في دولة الخلافة . لاحظ المعترضون عليه من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الاتجاه روماني لا إسلامي وقالوا في وصفه كما هلك هرقل قام هرقل ! ولكن هذا الأسلوب الروماني كتبت له السيطرة وبلغ من اجترانه أنه استولى على منابر « الجمعة » يلعن من فوقها مثلي الاتجاه الإسلامي الصحيح !

\* \* \*

وفي عصرنا هذا وصلت بنا مراحل الأمراض الاجتماعية والسياسية إلى أقصى حدود الهوان والنفوسى . وزاد الطين بلة أننا في ضعفنا اتصلنا بالغرب اللادى فى قوته وجبروته . وللغرب عناصر حياته التى يعتمد عليها فى تفوقه وانطلاقه . وله كذلك هئاته الشائنة . وهى لا تؤثر فيه — لا لتفاهتها — بل لقلبة عوامل القوة التى تقاومها — كما كنا قديماً —

غير أننا كنا أسرع من أى شىء آخر إلى تلقف هذه الهنات . ولم نحسب حضارة الغرب إلا متعاً ولذات . فالتقت فى حياتنا التعسة نفايات كثيرة من أخطاء الماضى ولونات الحاضر . وأضحى على المصلحين أن يحملوا أثقالاً فوق أقال . وأضحى على مفكرى الإسلام خاصة أن يشقوا طريقهم وسط صعب وعقاب . . إذ أن الذين تؤذيهم اليقظة الإسلامية كثيرون . فكم من ظلم سينقصم ، ومن وهم سينكشف ، ومن كبراء سيصغرون ، ومن محتلين سيزولون

من أنصارى إلى الله؟ . . .

للإسلام فى مصر فريقان من الناس ينتسبون له ويظهرون به . . . المتطوعون من رجال الجماعات الإسلامية ، والرسميون من علماء الأزهر : ومن سوء الحظ أن جهود الفريقين لم تنسق لغاية واحدة . ومنذ بدأ

الصراع بين الماديين والمتدينين في بلادنا ومعامل الدين تتساقط واحدة بعد أخرى ، وصراخ الضجر والاستنكار يعلو مرة ويخفت أخرى . ولا يزال هناك شارات خفيفة تدل على بقايا إسلامية في مجتمعا ، فالحكام الشرعية بجوار الحكام الأهلية ، والتعليم الديني إلى جانب التعليم المدني ، ومظاهر التزمّت إلى تقاليد التحلل ، والتاريخ الهجري مع التاريخ الميلادي وإن كانت هذه المظاهر دائمة التقلص والانكماش .

والواقع أن التيار المدني جارف والقوى أمامه مبعثرة ، ولا بد من حشد المحاصرين لله ورسوله في جبهة واحدة تسميت في المحافظة على ما بقي واسترجاع ماضع . وترکز ضغطها على مصدر الخطر كله وهو الاستعمار بشقيه الخبيثين . الداخلي والخارجي على السواء .

أعرف هيئات متدينة لا تفكر في هذا الكفاح ، وهي بذلك تجرم في حق الإسلام ! وقد تتاح لها فرصة الحياة لسنين معدودة ويُنحَل بيننا وبين عباداتها الشخصية لتؤديها في حرية ، بيد أنها ستقرض في الجو الجديد كما انقرضت حيوانات العصور الخالية لما تغير عليها المناخ . . وأعرف رجلا من الشيوخ في الأزهر يعيشون على الإسلام كما تعيش ديدان البلهارسيا والانكستوما على دم الفلاح المسكين والغريب أن أنشط علماء الأزهر وأحفهم بقيادة زمامه مبعدون عنه أو مطاردون فيه . . وقد فقد الأزهر الكثير من مسكاته الشعبية لأن أقطابه وقفوا من كبراء الأمة موقفاً ينبو عن روح الإسلام . . فهم لم ينصحوا الخطىء من هؤلاء الكبراء الخطائين . وليتهم لما سكتوا عن النصح الواجب اعتزلوا الأمر كله . إذن هان الحدث قليلا ، والسكن الذي هال الناس تملق هؤلاء الأقطاب لمن يوقن الناس أن مدحه

كذب والركون إليه نفاق ، ولعل هؤلاء هم المعنيون بالحديث « إن ناساً من  
 أمي سيتفقون في الدين ويقرأون القرآن يقولون تأتي الأمراء فنصيب من  
 دنياهم ونعتزل بديننا . ولا يكون ذلك . كما لا يجتني من القتاد إلا الشوك  
 كذلك لا يجتني من قريتهم إلا . . » قال الراوي كأنه يعني الخطايا !

وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للكعب بن عجرة :  
 أعاذك الله من إمارة السفهاء . قال وما إمارة السفهاء ؟ قال : أمراء يكونون  
 بعدى لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على  
 ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ، ومن لم يصدقهم  
 بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي .  
 لا شك أن الإسلام بحاجة إلى من يجاهد له سيما في عصر فقد فيه دوائه  
 وحرّم فيه سلطته وأصبح يحيا بطرق مفتعلة .

والعبء يقع على رجال الأزهر . وعلى أعضاء الجماعات الدينية ، فالذين  
 يكتمون الحق ولا يجهرون به في وجوه الحكام والمحكومين مقصرون .  
 والذين يقومون بطائفة من العبادات الفردية ويحسبون رسالتهم قد انتهت  
 إلى هذا الحد قاصرون .

فهل ينجو الإسلام من لوثات القاصرين وتراخي المقصرين ؟  
إنا لنأمل أن يقوم للإسلام رجال لا يخافون في الله لومة لائم يردون  
عادية الإلحاد والفسوق ويرفعون أعلام اليقين والمرجمة .  
 فيدرك ثار الله أنصار دينه . والله أوس آخرون وخزرج

*celle nite  
 dire leur fait  
 aux pots  
 no pei - de  
 hicher - les  
 jervous se  
 nullis*

لمنت

MAHMOUD SAHAWI LIBRARY IN CAIRO

(٢)

دعائم الاخوة العامة





أو وجود الأصل الذي انبثقوا منه وعاشوا عليه ! .  
بل الواجب يقضى بأن يأخذ القوى بيد الضعيف ، وأن ييسط عليه جناح  
رحمته ما ظل محتاجا إليها . وجمهرة تعاليم الدين القويم تقوم على هذا الأساس  
المبين ، وتقرر بين البشر كافة هذه الأخوة العريقة ؛ ثم هي تنظر إلى حقوق  
هذه الأخوة حين تأمر بالبرّ والتواصل والمعدلة ، وحين تنهى عن الظلم والقطيعة  
والعقوق .

ولعل اعتبار الإنسانية كلها أسرة متشابكة الأجزاء متكافلة الأعضاء ،  
اعتبارها قرابة تحترم ورحما توصل ، هو ما عناه ختام الآية الكريمة : « يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ،  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

وبهذا التفسير يتفق عَجْزُ الآية مع صدرها في الاتساع والشمول ! .  
ولاشك أن البشر أحوج ما يكونون إلى التعاون والتراحم والإحساس القوى  
بأنهم أسرة واحدة ، أسرة لا تترك أحداً من أبنائها يجموع ويعرى ، أو أحداً  
من شعوبها يضل ويخزي ! .

ودون الوصول إلى هذه الغاية النبيلة عقبات وعقبات سواء من الاستعمار  
الخارجي الذي يمنح إليه الغرب ، أو من الاستعمار الداخلي الذي وقع فيه  
الشرق ، وإلى أن تقرر الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية لأمم الأرض  
قاطبة ، يمكن أن يقال : إن هناك أخوة عامة بين الناس ! .

### ضابط مطرد

٨٨ والأخوة المطلقة حقيقة لا معدى عن المناداة بها ، وحشد الناس تحت لوائها

٨٩ وهي الضابط الذي تبلغ المساواة في ظله آخر مداها لا فقد يقال إن المساواة

المطلقة بين الأفراد مستحيلة ، ولكن لن يقال ذلك في مبدأ الأخوة .

والحقيقة أن الجماهير التي هتفت بالمساواة وصرخت تطالبها لم يدرك في خلدنا  
 قط أن تسوى بين خائن وأمين ، أو بين كسول ونشيط ، أو بين ذكي  
 وغبي : إنما أرادت أن تسوى بين الخائن والخائن في العقاب ، وبين الأمين  
 والأمين في الثواب ، وبين الكسول والكسول في المنزلة ، والنشيط والنشيط  
 في فرص الربح وأسباب التقدم وهكذا . وهذه المساواة العادلة غير متحققة  
 في ظلال النظم المستبدة والجور الاجتماعي ، إذ قد يقفز الغبي لعوامل مصطنعة  
 إلى الأمام على حين يدفع بالذكي إلى مؤخرة الصفوف ، أو يتساوى الرجلان  
 مقدرة وكفاية ثم تفتح الأبواب وتزاح السدود أمام أحدهما ويبقى الآخر حائراً  
 لا يدري ماذا يصنع ، لأن هذا غني وذاك فقير مثلاً !

وتشريع النظم التي تقر المساواة التامة بين أبناء الأمة أمر لا بد منه —  
 ولا زلنا في الشرق نسعى إليه بخطوات عرجاء ، ونحن لاشك نحقق العدالة  
 في أعظم صورها ، ونتمشى مع مبدأ الأخوة وقانون المساواة يوم نتيح لطبقات  
 الأمة جميعها الانتساب إلى مراحل التعليم عاليها ودانيتها ، ويوم نمسكنها من  
 الاستيلاء على وظائف الحكومة كبرها وصغرها ، فلا يتقدم أحد إلى شيء  
 من ذلك إلا بكفايته الشخصية ، ولا يتأخر إلا لعجزه الخاص ! . أما أن  
 تستطيع طبقة معينة احتكار هذه النواحي لنفوذها المادي والأدبي فهذا خروج  
 فاضح على مبدأ المساواة بين الناس ، وهدم واضح لقانون الأخوة الذي يجب  
 أن يسود الجميع ، وكل امتياز مادي لا يعود إلى تفوق ثابت أو كفاية ظاهرة ،  
 فهو ظلم لا مسوغ لبقائه . ولاشك أنه عند ما تسوى الطبقات المختلفة على أساس  
 الصفات المشتركة التي تجمع بين أفرادها ، فإنه سيبقى بعدئذ في المجتمع من  
 يوصف بأنه كبير ، ومن يوصف بأنه صغير . وهنا تفرغ المساواة من أداء رسالتها

مبدأ  
 العدالة  
 المساواة  
 بين  
 الخائن  
 والأمين  
 في العقاب  
 وبين  
 الكسول  
 والكسول  
 في المنزلة  
 والنشيط  
 والنشيط  
 في فرص  
 الربح  
 وأسباب  
 التقدم  
 وهكذا

العدالة  
 المساواة  
 بين  
 أبناء  
 الأمة  
 أمر  
 لا بد  
 منه

ALMAH K. 2. 2011

egalitarian  
of the  
fraternity

ويجىء دور الإخاء ليصبغ العلاقات بصبغته النبيلة ، فهي ليست علاقة استعلاء ،  
من ناحية واستخذاء من ناحية أخرى ، بل هي علاقة رحمة وحنو ، أو توقير <sup>٣١</sup>  
وإكرام ، كما قال النبي صلوات الله عليه وسلامه : « لبس منا من لم يوقر <sup>٣٢</sup>  
كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » .

إن الرجلين الشقيقتين يخرجان من وعاء واحد ويفذوهما سقاء واحد ، ثم  
قد يختلفان طاقة ومزاجاً واستعداداً فتتفرق في الحياة سبلهما ، وقد يعاود هذا  
فيصير ضابطاً أو طبيباً ، ويهبط ذلك فيصير جندياً أو ممرضاً ، فأول ما يفترض  
في العلاقة بين الأخوين أن اختلاف وظيفتيهما لن يمحوا أواصر القربى بينهما  
بل يجب أن تبقى عواطف المحبة والتناصر والاعتزاز وطيدة في قلوبهما ، وأن  
يشعر كلاهما بحقيقة الشركة التي تجمعهما في نسب ومسئولية ، بل في عصبية  
أحياناً ، فلا يكون في قلب الأكبر جحود ، ولا في فؤاد الأصغر حقد ! .

كذلك يجب أن تكون الصلات بين طبقات المجتمع ، فالناس إخوة ،  
وأبعد ما يتصور في تحديد أوضاع الناس أن يكون هذا سيداً وذاك عبداً ،  
أو هذا مربوب وذاك رب ، أو أن تسخر الفوارق المادية لمسخ الطبيعة  
الإنسانية ، هذه الفوارق التي أوتيت القدرة على أن تقلب الأوغاد أمجاداً بعدد <sup>٣٣</sup>  
أن سمح لها ابتداء أن تقطع ما أمر الله به أن يوصل ، وأن تملأ الأرض فساداً ! .

عن  
الشيخ

### آمال الشعوب

في نشدان الأمم للعدالة كانت تطلب المساواة الصحيحة التي لا ضير منها  
على أحد ، المساواة التي شرع الله لعباده منذ خلق السموات والأرض ، والتي <sup>٣٤</sup>  
عبر عنها نبي الإسلام أصدق تعبير يوم قال : « الناس سواسية كأسنان المشط  
لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » فإن تكن التقوى أساس التفاضل بين

que le travail  
est la base de  
l'inegalite sociale  
ce qui est  
selon l'islam  
et l'egalite

الناس في الدين ، فليكن العمل أساس التفاضل بين الناس في الدنيا ، ويجب أن تحترم هذه الأسس فلا تعصف بنتائجها العادلة أهواء الطفافة ، ثم إن علينا أبدأ الكشف عن معالمها ووقف الناس جميعاً عند حدودها ، ووضع القواعد المحققة لهذه الغاية ، فتقرر حقوق الإنسان ويضمن تكافؤ الفرص ، وتصان ثمرات الكفاح ، وتستأصل شأفة الاغتيال والاحتيال .

وقد جاءت على الإنسانية فترات قصيرة — لا تكاد تحسب من عمرها — تحققت وفيها المساواة المثالية التي تنعدم فيها الفوارق حتى ما كانت له مبررات خاصة ، ففي فجر الإسلام يوم صاغت العقيدة الإسلامية طائفة من المثل العليا النابضة بالحياة ، كان الرجل يشاطر زميله ماله وأهله ويشاركه في السراء والضراء قال النبي صلوات الله وسلامه عليه « إن الأشعرين كانوا إذا أرملوا في غزو أو قل طعام عيالهم جمعوا ما لديهم من طعام في ثوب واحد فاقسموه فيما بينهم بالسوية . فهم مني وأنا منهم » .

وهذا هو  
المثل  
الذي  
نريد  
الوصول  
إليه

ولئن كان الكبير والصغير يشتركان في طعام واحد ، فقد كان العمل اللائق قسمة موزعة على الجميع ، وقد رأينا الرسول — على جلالته قدره — يشتغل مع أصحابه في حفر التراب في غزوة الأحزاب ويساهم معهم في تجهيز الأكل ، فإذا استراحوا من العمل وضعهم مجلس راحة ، لم يعرف النبي من بينهم بشارة خاصة ، ولم يرقم له أحد منهم عند مقدمه ، لأن الله يكره أن يتميز الرجل على أصحابه ولأنه « من أحب أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار ! » تلك تعاليم الإسلام الواضحة في سنته الثابتة ، تعتمد على مساواة مثالية رائعة ينزل فيها الفاصل عن حقه للفضول ، لأن الحياة في مجتمع من الصديقين تستغنى عن هذه الأناية بل تلو فوقها كثيراً جداً ، وإن مكارم الأخلاق عند الرجال الفضلاء لتجعل هذه المساواة قانوناً مرغياً واجب التطبيق . قال

m

m

1000



فلما وقع على الماء أخذ يعب ويعب حتى خرج الرى من أظفاره .

يقول ( والن ) في كتابه « روسيا السوفيتية » : ( في يوم من عام ١٩١٩ طرق باب الأستاذ المشهور « ديولسكي » طارق ، وفتح الأستاذ فوجد طائفة من الجند معهم ضابط قال له حين رآه : إن عندك يا أستاذ سريرين تريد منهما سريراً ، ويبقى الآخر لتمام فيه أنت وزوجك ! . وشكا الأستاذ أمر هذا الضابط إلى « لينين » فرد عليه يقول : إن رغبة أهل العلم من أمثالك في أن يكون لهم سرير وللزوجة سرير رغبة معقولة ، ولكن الفقراء عندنا لم يسعدهم الحظ بعد بأن يكون لهم حتى سرير واحد ، لهذا لزم أن تعطى سريراً من سريريك ) .  
كان هذا في بدء الثورة ، لما كان أمر المساواة الكاملة بغية جميع الناس وأهم شيء يعنى به رجال الثورة .

de l'ine-  
l'ar 700 p  
di homme  
1 lit à m  
parmi les  
en 2  
par la  
pauvre

كان العهد البائد عهد القياصرة ، عهد الفروق الكبيرة ، عهد التخمة وعهد الجوع ، عهد الدفء في الفراء وعهد الرعشة من عرى ، عهد النعمة الضاحكة ، والفاقة الباكية ، عهد السلطان والجهوت الذين لا حد لها ، وعهد الطاعة التي لا حد لها ، وانتهى العهد فلا بد أن تنتهى معه هذه الفروق كلها ، لا بد من المساواة الحسابية ، كما تساوى العشرة عشرة ، لا تسعة ولا إحدى عشر ، وكل شيء يقوم في طريق هذه المساواة لا بد من إزالته وتذليله .

nécessaire  
égalité  
authentic  
10=10  
11009

بيد أن الثورات التي انفجرت في وجه الظلم لا ينبغي أن تنتهى إلى ظلم من لون آخر ، صحيح أن الناس سواء ، على أن هذه المساواة تعقل على أوائل الطريق في الميدان ، وقبل بداية الشوط ، فإذا انطلق المتسابقون فلا مساواة بين الأصيل والهجين ، ولا بين المجاهد والقاعد . نعم من قوانين المساواة أن نهد الطريق أمام الجميع ، وأن نزيل كل قيد قد يعوق البعض عن الحركة ، وأن نمنع كل شكوى من العقبات الموضوعية ، والعثرات المصنوعة .

تساوى  
nécessaire  
la vérité  
supérieur  
les obstacles  
la vérité  
إدراك

Staline dit à ces hommes  
donne le vin pour eux dans  
des ustensiles et ustensiles

والناس سواء في المطالبة بهذه الحقوق ، فإذا نالوها فللسابق أجره ولا خرج  
وعلى المخالف ودره ولا كرامة .

ومن ثم قال ( ستالين ) لأنصار المساواة الحسائية السابقة : « إن هؤلاء  
القوم يحسبون أن الاشتراكية تستلزم المساواة في مطالب العيش لكل فرد  
من أفراد المجتمع ؟ . ألا ما أسخفه من رأى يخرج عن فكر مهوش شتيت .  
إن المساواة التي نادوا بها أضرت بضاعتنا أكبر الأضرار .

على أن هناك نهاية صغرى متقاربة للفئات للمساواة المادية التي يحتاج  
الناس إليها في إشباع ضرورتهم ، كما أن هناك نهايات كبرى للمطالب البشرية  
المعقولة ، ولا يستطيع أحد القول أن هذه المساواة المرنة متحققة عندنا ،  
ما دامت هناك جماهير تنزل في معيشتها عن مرتبة السواثم وأفراد يعشون  
في الأرض عبث الشياطين .

يقول الدكتور أحمد زكي : « قال رجل ممن يؤمنون بالخلاف يحتاج عند  
رجل ممن يؤمنون بالمساواة : انظر إلى أصابع يدك هل جعلها الله طولاً  
واحداً . ؟ فأجاب الآخر : نعم إنها ليست على طول واحد ، ولكن ماذا  
يكون الحال لو أن الله أطال إصبعاً منها أو إصبعين حتى صارتا متراً أو مترين ؟  
أكانت يدك عندئذ قادرة أن تقبض على شيء ؟ فالأمر إذن ليس كنه  
الخلاف بين الناس ، ولكن مقداره ، إن الذي أرق ذوى الضمائر من مفكرين  
وفلاسفة ليس الفرق في المتاع بين إنسان وإنسان ، ولكن ضخامة هذا  
الفرق ، لاسيما تلك الضخامة التي لا يمكن أن تكون بسبب ما بين فرد  
وفرد من قدرة وكفاية .

من يظن أن  
الله جعلها  
على طول واحد  
فإنه لا يميز  
بيننا وبين  
الحيوان

### نبوءات صادقة

هناك آثار دينية طريفة يتلقاها عامة المسلمين بالقبول ، ولها في التاريخ الإسلامي قريبه وبعيده مظاهر متكررة . ومحور هذه الآثار أن هناك حاكماً منتظراً يتوقّب المسلمون مطالعه ليفك الآثار النقال التي رموا بها على قلب الأيام ! والأوصاف التي ذكرت لهذا الحاكم تستحق أن نقف لديها قليلاً ، فقد ذكروا عنه أنه يقسم المال بالسوية « وأنه » (بمخى) المال حثياً ولا يعده عدا « وأنه » يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً « تلك هي سمات الحاكم المهدي المنتظر ! وسواء صحت الأحاديث التي وردت به أم أن هذه الأحاديث صورة نصحت بها آمال الشعوب المضطّدة والأمم المعذبة ، فإن هذه الآثار تشير إلى الناحية الموجعة في حياة المسلمين وتنطق بالأدوية التي تهفو إليها أفئدتهم الجريحة ونفوسهم المقروحة . . . ولئن كانت التطورات العالمية المشاهدة تنبئ عن اتجاهات عنيفة إلى الحياة الاشتراكية فإن دلائل الدين تصدق هذا التطور وتحمل الأغنياء وزره ، وتدل على أن الفقراء سيأخذون حقهم غصبا ويؤمّتون معاشهم وحدهم ، وأن الأغنياء سيجهثون بعد فوات الفرصة ليدفعوا الزكاة فلا تقبل منهم !! وقد حذر النبي صلوات الله عليه وسلامه من هذا المصير فقال « تصدقوا فإنه يأتي زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها يقول الرجل — الفقير — لو جئت بها أمس لقبلتها . أما اليوم فلا حاجة لي بها !! » وكرر رسول الله تحذير الأغنياء من عواقب شحهم في الدنيا والآخرة قائلاً « إن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها ! ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ثم يقولون له ألم أوتك مالا ؟ فيقولنّ بلى . ثم يقولنّ ألم أرسل إليك رسولاً ؟ —

le meli  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil

l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil  
l'orgueil

٣٦



ما أسمع من هؤلاء  
من المؤمنين

أمر بالإتفاق — فيقولن بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار . فليتقين أحدكم النار ، ولو بشق تمرة . »

### بقظة متأخرة

ما أشبه تاريخ الرأسمالية الكافرة بحقوق الله وحقوق الناس ، بتاريخ فرعون حاكم مصر القديم ، فقد ظل يطغى في البلاد ويكثر فيها الفساد ، ويزعم للناس أنه ربهم الأعلى حتى إذا اختطفته نذر الموت وبدأت تحشوفه من طين البحر قال « آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين !  
آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » . !

نهكنا نكسرهم  
بشيء من  
ما

كذلك آثر البخلاء . من رجال المال أن تبقى خزائهم مترعة على حين ارتفعت من حواليلهم صيحات الشكاية ، وشاعت في مجتمعاتهم مشاعر الضيق والعوز ، فلما انفجر المرجل اكتوى بناره أولاً وأخيراً أولئك الذين سعروها ثم حاقت فيهم دعوة موسى « ربنا إنك آتيت فرعون وملاؤه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك . ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .

لقد زرع الرأسماليون بأيديهم المبادئ التي تنكر عليهم حق الحياة ولو أنهم شعروا بأواصر القربى وعواطف الأخوة ومعاني الإنسانية الفاضلة التي تربطهم بأفراد الطبقات العاملة . ولو أنهم أحسنوا العمل بالدين بدلا من تشويهه خصوصه لمصلحتهم ، وتسخير رجاله لمآربهم ، لعاشوا إلى الأبد في مآمن .

وإنك لا تدري إذا جاء سائل أنت بما تعطيه أم هو أسعد عسى سائل ذو حاجة إن منعه من اليوم سؤلا أن يكون له غد بلى . وإنه من حق الشعوب أن تكبره المظالم ، وأن تتخلص منها

بدل  
من

إذا وقعت فيها ، وأن تحتاط ضد عودتها إذا برئت منها . والرأسماليون قد لا يفهمون هذه الحقيقة ، لأنهم قديماً وحديثاً في شغل بأنفسهم عن غيرهم . وأبرز صفات هذه الطبقة ، الاعتداد بالذات اعتداداً يقترن بالغرور والغطرسة فهم أبعد الناس عن الاعتراف بمبدأ المساواة بينهم وبين أفراد الشعب .

ثم من خلقهم التواصي بالبخل ، فليس يكفي أحدهم أن يحدد حقوق الآخرين لديه بل إنه يوصي من هم على شاكلة من أفراد طبقته بالجهود ، والتظاهر بالعجز عن إجابة رغبات السائلين والمحتاجين ، فهم أبعد الناس عن الاعتراف بمبدأ الأخوة العامة . وقد نزلت في القرآن الكريم آيات تعتبر أصدق وصف للملامح هذه الطبقة الفاجرة ، فبعد أن أمر الله عز وجل بتوحيده والإحسان إلى عباده قال : « إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدته للكافرين عذاباً مهيناً » .

ومن العجيب أن القرآن بعد ما وصفهم بهذا البخل الشنيع ذكر في أوصافهم أنهم ينفقون أموالهم في المظاهر الفارغة ويتوسعون في النفقات المريبة فقال : « . . . والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . . » .

وهذا حق . فإن أولئك الذين يتواصون بالبخل في الحقوق الواجبة يريقون أموالهم سيولاً دافقة في الحفلات الساهرة والليالي الحمراء لينتشر في الأندية ، ويذاع في الصحف نبأ ما أنفقوا في سبيل الشيطان « ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً . وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ! » لعمر الحق ما كان عليهم من حرج — لو فعلوا ذلك — ولكنهم ضنوا بالقليل فتهددهم ويل كثير . . . هم له ولشر منه أهل ! .

Conspiration  
de l'illus =  
- laizisme  
de la  
practique

C. ٢٤٦  
cachant  
ce qu'ils  
leur a été  
كافرون  
Rip aussi  
des autres  
sans plain  
تواصي  
بالبخل

هدم الطواغيت

Paul Bourneur dit le monde  
39 - كذبت لك  
كذبت لك!

أى ضمير يصيب الحياة لو خلت من طغيان الغنى ومن هوان الفقر؟  
بل قل : أى خير تصيبه الحياة لو خلت من بطنة المترفين وافتخارهم ومن حاجة  
المحرومين وانكسارهم ؟ ألا تدرع الإنسانية طريقها إلى الأمام فى خطوات  
فساح . ثم أليس هذا هو ما يصبو الدين إلى تحقيقه ؟ إن الدين فى تصويره  
لمثل العليا للعلاقات بين الناس يمجّد الإيثار . الإيثار الذى يجعل المرء ينزل  
عن ضروراته لأخيه الإنسان إذا احتاج إليها . الإيثار الذى يرفع العلائق  
الإنسانية إلى مستوى لا يرقى إليه غش ولا ضغن ولا كرازة والذى يوحى إلى  
إلى الشاعر قوله :

إن أخاك الصدق من كان معك      ومن يضر نفسه لينفعك !  
ومن إذا ريب الزمان صدعك      شتت فيك شمسه اجمعك !  
ومن لا نطالب الناس بهذا الإيثار العالى ، إذ كيف نطلب الفضل ممن  
فاته العدل . أو نطلب التكرم والسماحة ممن يضمن بالحقوق أن يدفعها ؟  
إننا نطلب من الناس أخوة توزع عليهم السراء والضراء بالقسطاس المستقيم ،

أخوة تعطى كل ذى فضل فضله وكل ذى حق حقه ، وذلك ما يعزى فى هذه  
الأيام وجوده . ولكى يوجد ، يجب أن تخلع أسنان الطبقات المفترسة حتى  
تمنعها من القضم ، وأن تروض جماجمها حتى لا تعاود ما اقترفته من إثم ،  
وأن نصحح أفكار العامة والخاصة حتى لا يبنى أحد على أحد ، وحتى يعود  
الجميع عباد الله إخوانا .

تعدى  
المثلثات  
de l'imp  
de  
à la  
de  
de  
de  
de

أما المجتمع المشحون بالمحرومين والمظلومين ، المنكوب بالطغاة  
والجبارين فهيهات أن تتحقق بين بنيه أخوة . وأية أخوة تنعقد بين الظالم  
والمظلوم والطاعم والمحروم . ولو أن ما نرى من فقر نتيجة قعود السكسالى

ما ارتفع صوت أبدأ بإطعام كسلان ، لكن المزعج أن نرى ذل الاحتياج على  
جبين يتصبب عرقاً ويتلوث غباراً ، وأن نلمح الأيدي المختبئة في القفازات  
تلهو بالذهب والفضة وقد نجت عن ذلك مبادئ وأفكار وتصورات غريبة .  
وشاع لدينا نحن الشرقيين أن الذكاء باب إلى النجس وأن الغباء باب  
إلى الثراء وأن الدنيا — كما يقول العامة — تعطى الخلية من ليست له آذان .  
وكثر في الشعر العربي ترديد هذه الأوهام .

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ولم أر المحروم غير العاقل  
شربت عشراً من كروم بابل فصرت من عقلي على مراحل !!  
وهكذا تخلص الشاعر من عقله الذي يسبب نحسه ! ويقول الآخر يريح  
نفسه من عناء الفكر والعمل . . .

والعيش خير في ظلال ال — حمق ممن عاش كدا  
ويقول الآخر معتذراً عن فشل النسيط ونجاح القاعد :  
قد يكثر الحول التقى ويكثر الحيق الأثيم !  
يملى لذلك ويتلى هذا . فأيهما المضم ؟  
ويعلل الآخر هذه النتائج المحزنة المضیعة لثمرات الجهد الإنساني فيقول :  
ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ! ويكدي الفتى في دهره وهو عالم !  
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذا من جهلن البهائم !  
وأخيراً تلقى التبعة في هذا التفاوت الأليم على الأقدار القاهرة فيقول الشاعر :  
متى ما يرى الناس الغنى وجاره فقير . يقولوا عاجز وجليد  
وليس الغنى والفقير من حيلة الفتى ولكن أحاط قسمت وجدود !  
وهكذا يتخلص الناس من عناء الاعتراض على النظم الفاسدة والأوضاع



الفقر !. وإقحام القدر في هذه النواحي الاقتصادية كما قدمه في شؤون الطاعات والمعاصي ، مردود في وجوه أصحابه ، ولا يعتبر دليلاً لأحد قط ، بل علينا أن نسخر أقصى ما نملك من قدرة في إحسان التوزيع الاقتصادي ورفع مستوى المعيشة وردم مصادر البؤس وإهلاك جالييه على جمهور الأمة .

إن أحداً لم يقل بأن في الوعظ والإرشاد والتعليم والتربية تحدياً لله سبحانه في قوله : « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » ، فلماذا يحسب العمل على إنصاف الطبقات وتجنيمها غوائل الفقر تحدياً لله القائل : ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ . إن إقامة صروح العدل الاجتماعي في بلد مختل كإقامة قواعد الأدب في مجتمع منحل ، كلاهما عمل يطالب به الدين وليس فيه تحفظ ولا تمدد على الأقدار ، فإذا رأينا ذكاء آخره الإهمال ؛ وغباء قدمته المحاباة ، أوقاعداً ينال الخير ، وعاملاً أعوزه القوت القليل ! فمن الإجمام والفحش أن نقول في تبرير هذه الأوضاع المقلوبة : « ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر » .

فإن هذا كقول سفهاء العامة عندما يجدون رجلاً يرتكب معصية : يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، أو كقولهم : لو شاء الله ما فعلوه ، أو كقولهم : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ؛ وغير ذلك من الكلمات التي يريدون بسوقها هدم قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترك الناس فوضى تصرفهم الشهوات والنزوات .

بل الواجب الذي أمر به الدين أن نضرب على أيدي الظالمين ، وأن نعترض على كل تصرف شائن ، فإن انتصر الحق فيها ، وإلا فإن الباطل إن بقي بعد ذلك بقي مكشوف السوءة مزرياً عليه ، فإن يحسب أحد بقاءه مرضياً لرب العالمين ، كما ترمى إلى ذلك أوهام المرجفين .

فإذا تبع بسط الرزق وقبضه سعة المواهب وضيقها ، أو خضع الأمر

لقوانين الصدق الخارقة التي لا دخل لنا في صنعها ، فلا علينا بعد أن أفرغنا  
جهدنا في تحقيق العدالة التامة أن يتفاوت الناس إقتارا وإكتارا ، مادامت  
سنن الحياة الصارمة أن يكونوا في جهودهم وإنتاجهم صغارا وكبارا ، وذلك  
هو القدر الذي نقف عنده هادئين .

بالتسوية بين الناس  
بالتسوية بين الناس  
بالتسوية بين الناس  
بالتسوية بين الناس  
بالتسوية بين الناس

### تزوير على الدين . . . !

كل دعوة تحب الفقر إلى الناس ، أو ترضيهم بالدون من المعيشة ،  
أو تمنعهم بالهون في الحياة ، أو تصبرهم على قبول البخس والرضا بالدينية ،  
فهي دعوة فاجرة يراد بها التمكين للظلم الاجتماعي ، وإرهاق الجماهير الكادحة  
في خدمة فرد أو أفراد ، وهي قبل ذلك كله كذب على الإسلام وافتراف  
على الله .

وأى تجاهل لأحوال الأمم المحرومة من العدالة الاجتماعية ، أو تهوين  
لآثار الضيم النازل بها ، أو تسكين للتوائر المهتاجة فيها ، فهو دليل على أحد  
أمرين : حبال في العقل ، أو نفاق في القاب ، وكلا الأمرين له منزلته الحقيرة  
من دين الله ومن دنيا الناس ، فلا يلتفت إليه . . .

إذا كان هناك من لا يفرطون في العمل المفضى ساعة من نهار ومع ذلك  
تأخذ الأزمات بخناقهم من المهد إلى اللحد ، ويحيون وتحيا أسرهم في حرمان  
متلاحق من القوت والعلم والعدالة والحريية ، فإذا أصابهم شيء من ذلك كان  
غيبضا من الفيض الذي ينزل في بيوت لم تقدم للدنيا عملا ولم تكسب في دينها  
خييرا ، فهل التبرُّم بهذه الحالات المتناقضة يُعدّ شغبا على الدين ؟ أم هو رغبة في  
تطبيق قول الله عز وجل ( لا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض  
بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ) .

لا ريب أن سلب الألواف العاملة ثمرات كفاحهم ظلم ، وأن تحويل هذه الثمار إلى القاعدين إغاثة على الفساد ، وأن هذا وذاك عمل على ضياع الإيمان ووقدان العدالة .

وعلى أن ترضية الناس بالأمر الواقع وترغيب الجماهير في حياة الكفاف والمسكنة ، وحجب أبصارهم عما يجري في أفنية المترفين من نعمة ومتمعة ، كان العمل الذي تطوع للقيام به طوائف المتصوفين ، فرغبوا الناس في الفقر وزهدوهم في الدنيا . وكان هذا المسلك الطائش يجري على هوى الطبقات الخائفة ، فما دامت الحقول تهتز بالزراعة والأسواق تمتلئ بالحركة وأنواع الخراج والمكوس تجبي من هنا وهناك ، فلا على هؤلاء الحكام أن يزهد العامة فيما بأيديهم كله أو جله ، بل إن ذلك أدنى إلى طمأنينتهم ! ومن ثم انتشرت طرق المتصوفة وقيل في تاريخها : إنها كانت رد فعل لترف الحكام وأتباعهم فأقبل هؤلاء على الدين لما أقبل أولئك على الدنيا ! أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأوراد ، وأقبل الحكام ومن في حواشيهم وركابهم على الشهوات والملذات ! . . وهذا الخلل الصوفي الأحمق يعتبر أول صداع أصاب التفكير الإسلامي في صميمه ، بل أول تصدع أصاب كيان الأمة الإسلامية فيما بعد بالانهيار .

فكأنه  
V. Foucault  
is found  
in the  
text of  
the  
author

فأفكار الصوفية إذاً لا مبادئ الإسلام هي التي حملت الجماهير أوزار الاستعمار الداخلي ، ووطدت المظالم الخطيرة ، وخذت الناس عن محاربة الفقر ، وقتلت في دماهم الشعور بأن الفقر كارثة يجب أن تقصى عن المجتمع ولو بدق العنق وأن يستमित الناس في دفع بلائها بأي ثمن .



la religion ne  
commande pas à  
la science comme un dieu

## شبهات

قد يقال : بل إن طبيعة الدين هي التي تربط قلوب الناس بالحياة الآخرة ،  
وتجعلهم يعيشون في الدنيا مصروفين عنها قليلى الاكثراث بما يصيبهم فيها من  
بؤس وضيق . والرد على هذا الكلام هين ونحن مضطرون إلى الخوض فيه  
وإن تشعب علينا موضوع البحث لأن كل نظام اقتصادى تصحبه فلسفة  
نفسية واضحة عند ذويه .

فإذا لم تستند الاشتراكية الإسلامية إلى فكرة علمية صادقة أصبحت  
بناء لا دعامة له .

إن الدنيا بمقوماتها المادية الهائلة سلاح خطير نفاذ ؛ والسلاح فى أيدي  
اللصوص وسيلة فعالة لتعكير الأمن وارتكاب الجريمة وإشاعة الفساد ، فهل  
هو كذلك فى أيدي رجال الشرطة وحماة الحق والمدافعين عن الأوطان  
والعقائد ؟ كلا بل هو جزء متمم لعملهم الشريف لا نجاح لهم بغيره .

والمتدينون إن فقدوا هذا السلاح فكيف يؤدون رسالتهم فى الحياة  
أم كيف يتماسك كيانهم فيها ؟ ففهم الدنيا والهيمنة عليها والتفوق فى شئونها  
أمر لا بد منه لأهل الدين . والفرق واضح بين الرجل يتخذ الدنيا وسيلة لغاية  
كريمة ، وبين آخر يتخذها غاية الغايات ، وإن لم يكن هناك فرق بين  
الرجلين فى العلم بالدنيا والعمل فيها . . ومن ثم فالقول بأن الدين يصرف الناس  
عن الدنيا إشاعة كاذبة .

وقد تسأل عن زينة الحياة وجمالها ومباهجها ؟ والجواب أن القرآن نص  
على اعتبار ذلك حق المؤمنين قد يشاركهم فيه غيرهم فى الدنيا وسوف يتفردون  
به فى الآخرة والمهم جعل ذلك حقهم ، فليس يستغرب منهم ولا يستكثر

عليهم أن يتعلقوا به أو يتوجهوا إليه « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

بيد أنه من الرجولة والمرورة أو من الإيمان والإخلاص - كما يعبر أهل الدنيا أو كما يعبر أهل الدين - أن ننزل نحن عن ذلك كله فدية لمبدأ نعتنقه .  
وكم يكاف الدفاع عن الوحي وعن الوطن وعن الدين من بذل للنفس والمال . . . فمن استمسك بالحياة وحرص عليها مع وجود هذه الدواعي فهو نذل أو كافر بالتعبير الوضعي والشرعي !!

وإن تعدم من يقول لك : كيف تجعل للدنيا ورغباتها هذه المنزلة ، وكيف ترغّب فيها وتدفع إليها مع أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر » . وهناك عشرات النصوص تزهد في الدنيا وتحذر منها .

ويظهر أن هناك كثيرين لا يرون في الدنيا سجنًا للمؤمن إلا إذا عاش المؤمن فيها صعلوكًا ، ذليل الجانب ، كسير القلب ، قليل المال ، مقطوع الصلة بالعلوم والآداب والمعارف والفنون ! .

وتقول لهؤلاء الحق : إن الدنيا سجن لكل رجل شريف يضع قيوداً من حديد على شهواته الطائشة ، فهو يكون فيها واسع الثروة بعيد الجاه رحب الأفق كثير المطالب ، ولكنه لا يترك غرائزه تلعب به ، ولا ينطلق في الدنيا حيواناً لا عقل له ولا ضمير ، فليس معنى أن المؤمن سجين أنه يجب أن يعيش حين الشأن والمنزلة صفر اليد والفؤاد ، كلا . . .

وما دفع عامة المسلمين إلى هذا الفهم المعوج إلا أنهم لم يجدوا من أغنيائهم إلا كل شر ! ولا شك أن تاريخ أغنياء الشرق وكبرائه مجلجل بالسواد ، وقديماً قال فيهم المعري :

فشان ملوكهم عزف ونزف وأصحاب الأمور جباة خرج  
وهم زعيمهم إنيهاب مال حرام النهب أو إحلال فرج  
فوقع في أوهام الجماهير البائسة أن الغنى والفسق قرينان ، وأن الفقر  
والعفاف متلازمان . . . وذلك خطأ . فكم قرأنا وسمعنا في هذا العصر عن حكام  
مستعفين ورؤساء معتدلين ، وكبراء لهم سطوة الملك وجاهه العريض تستطيع  
أن تقول إن الدنيا تعتبر لهم سجنًا ، لأنهم لم يعيشوا لأنفسهم وإرضائها ؛ بل  
عاشوا لأنهم وإعلائها .

وكل حديث ورد يزهد ظاهره في الدنيا فإن له ملاسلاته التي لا يتجاوز  
حدودها والتي يقصد بها غالباً لفت المؤمن عن الاشتغال بشهواتها الحرام  
أو التعلق بها على أنها يوم لا غد بعده ، وحاضر لا مستقبل وراءه ، فإن الدين  
يجب أن يكرر على الناس ذكر الآخرة والأيسام منه ، ذلك لأنها غيب مرتقب  
قد يذهل عنه المرء وقد تنصرف عنه الطبيعة العجول .  
أو ليس ذلك ما حدث فعلاً لأغلب الناس ؟

### مصائب الفاقة ومتاعب الجهاد

وتوجد في الدين وفي الحياة أمور متشابهة ، ومعادن متقاربة لا معنى للاختلاف  
بينها عند إصدار الحكم عليها .

فالأمر بالصبر ليس أمراً بالذل ، والأمر بالتواضع ليس أمراً بالضعف . والحد  
الفاصل بين الحالتين دقيق ولكنه قائم ثابت ! .

والنهي عن الكبر ليس نهياً عن عزة النفس ، والنهي عن الترف ليس  
نهياً عن الاستغناء والاستكفاء ، فهذا وضع وذاك وضع آخر ! .

وقد جاءت في الإسلام آثار شتى تفرض على الإنسان تحمل الشظف

وتحرم عليه أن يظهر جزعاً أو يبدي ريبة ، فكيف قيل هذا ولأى وجه سيق ؟  
الواقع أن هذا قيل ليرضى المسلمين بمتاع الجهاد ؛ لا ليرضيهم بمصائب  
الفقر وآلام العيلة من غير سبب معقول .

فقد بدأ الإسلام دعوته غريبة على الأسماع قليلة النفر ، يتعرض المؤمنون  
بها لسفك دمهم ونهب مالهم وطردهم من وطنهم وتشتيت شملهم وفرض  
الحصار والمقاطعة المدنية على كثير منهم ، فكانت كفة الإيمان تضم المغارم  
الفادحة معها ، بينما كان الكفر يريح أصحابه من هذه التكاليف الثقيل ،  
إلى جانب أن قوام الكفر عصبيات ثرية توارثت المال والجاه من أعصر  
طوال وتستمع بالحياة على نحو إباحي لا ضابط له ، ثم تسخر غناها في محاولة  
قتل الدين الناشئ . وشمل ثمائه .

فماذا كان يقول الإسلام لأنصاره في هذه الفترة العصيبة ! أكان يقول  
لهم : اتركوا الحق لأن الحق يجشم أصحابه مشقات كثيرة ؟ أم كان يجب إليهم  
حياة الكفاح ويصبرهم على لأوائه ويرغبهم في مواجهة بأسائه وضرائه  
ولو ذاقوا الجوع والعري بل القتل والصلب ؟ وذلك ما حدث ، روى أن رجلاً  
جاء إلى النبي فقال له : إني أحببك فقال انظر ما تقول فقال والله إني لأحبك  
ثلاث مرات فقال « إن كنت تحبني فأعد للفقر تحجفاً فإن الفقر أسع إلى من  
يحبني من السيل إلى منتهاه » وهذا حق فطالنع الحرية . وخدام المثل العليا ،  
وأصحاب المبادئ . يتعرضون لمصادرة أرزاقهم والتضييق عليهم . أفمعنى ذلك أن  
الإسلام يحب الفقر ويدعو الناس إليه ويرغبهم عن الدنيا . ؟

( فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ) ؟

وكان طبيعياً أن يحقر الإسلام أعداءه وأن يتهمكم بمكائبتهم وأن يحمل  
حملة شعواء على غنائم المبدول في الرجس من الهوى ، وفي حماية الرجس من

الأوثان وفي محاولات فاشلة لإطفاء نور الله ، « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون » فإذا طلب من المؤمن ألا يعجبه هذا وإذا طلب منه أن يفض بصره عن حياتهم الحافلة بالمتع « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » فهل معنى ذلك أن الإسلام يكره لأبنائه الغنى ويحضهم على القنوع البليد والمعبشة المقبوحة ؟ أى غباء هذا في إدراك حقائق الأشياء ؟

شباب قنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحين  
إن الإسلام إذ يُشرب أتباعه روح الاعتزاز بالعبودية ولو انهزمت مادياً  
أمام كثر غنى مدال ، لا يكره لأتباعه أن تمتلئ خزائهم خيراً وأن تغم نفوسهم  
أماناً وطمأنينة !

### مثل معاصر

قيل إن تشرشل قال للإنجليز يوماً : لا أعدكم إلا بالدماء والدموع  
والعرق المتصبب . فإذا أراد الإنجليز يوماً الاستفادة من هذه الكلمة فأية  
مناسبة تصلح لترديدها ؟ في أوقات السلم ؟ لا . فقد قيلت في أيام الحرب . وليست  
كل حرب هي التي يصرخ فيها بهذه الكلمة ؛ بل حيث تخاف الهزيمة ويراد  
حشد القوى وإثارة الهمم وحمل النفوس على استقبال الأهوال في غير جزع  
أو حرج . وليست كل أمة هي التي تواجه بهذه الكلمة فهناك أمم يستنار أقصى  
مافي مواهبها من شدة وحدة عندما تواجه الأخطار المميتة وتسقيظ فيها  
غرائز الكفاح المرّ عندما تصارح بأعبائه . وهناك أمم أخرى إن صورحت  
بالشدائد وذكرت لها الحقائق القاسية سرى الرعب في أوصالها وأسلمها الوهن

إلى التخازل والانحلال ، فكلمة نشرشل الآفة لها دائرتها التي لا تصلح للعمل إلا فيها . وانظر ماذا تكون الحال لو أن انجلترا بعد عدة قرون تألفت فيها طوائف — كمتصوفة المسامين — تجعل هذه الكلمة دعامة لفلسفة السلام والاستقرار ، فهي تجمع العوام على الحزن والنشازم والبلاء . وتؤلف منهم طوائف يتصلون بالدنيا من هذه النواحي السود ! كذلك فعل بعض الناس بنصوص الأسلام تجدد الفلاح والبقال ومن إليهما يقع على بعض كتب الدين وللوهلة الأولى تتكون لديهم أفكار سقيمة ومبادئ فارغة .

وفي حشد من العواطف الحارة والشطحات المخلصة ثم في حشد آخر من أنغام المزمار وألوان الموسيقى تنساق هذه الفلسفة الصوفية ، وتغزو الحياة وتوجه الجماهير وتهزم العلم والمنطق والتفكير السديد .

وكما رأى هؤلاء فيض الترف يغمر الطبقات الحاكمة وهوى الدنيا يستولى على ألبابها شعروا بأنهم على الحق المبين ، الحق البعيد عن الترف والشهوة والمروق . . . فانعزلوا عن الدنيا وهم يصفونها بأنها جيفة وطلابها كلاب ! نعم قد يكون هؤلاء المترفون كلابا ، فلماذا نتمكهم من النهش والبطر ؟ لماذا نترك الأسباب تواترهم على اقتراف الجريمة .

ولو انتزعنا هذه الدنيا من أيديهم وتوسلنا بها لخدمة الحق والنبيل لسكان خيراً لنا وأقوم . إن ذلك هو منطق الإسلام الذي نعتنقه والذي يجب أن ينزل المتصوفون على تعاليمه ، ولو أنهم كرسوا أوقاتهم وجمعوا فرقهم لمناوأة الخلفاء الجبارين والرؤساء الظالمين وأزلوا الطوائف المترفة إلى مستواها العام مع جمهور الشعب لسكوا وأصدق قيلاً وأقوم سبيلاً ، ولما جروا على الإسلام التهم بأنه يدعو إلى الفقر ويمهد له الطريق .

## بلاء... لا يصح معه إخاء!

الأخوة العامة كما رأيت هدف يسعى الإسلام لتحقيقه ويصنع له البيئة التي تلائمها ويأبى أن يكون للفوارق المادية أثر يهدمه . وقد روجت - لحساب المترفين - تهم تزعم أن الإسلام يحب الفقر ويحرص على إفقار الجماهير ، وقد علمت أن هذا الكلام يعنى فى الحقيقة بأن الإسلام يحب الظلم ويحرص على بقاء الترف وبقاء المترفين . وهذا كله ضرب من اللغو لا يستحق إلا المحو ! وإنه معروف : مَنْ من الناس يستفيد من هذا الافتراء ؟ .

## معركة الخبز

كان آدم فى حياته الناعمة الأولى مكفول الضرورات من راحة وترفيه وقد قال الله له : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظلم فيها ولا تضحي » . فلما هبط آدم إلى الأرض ضاعت منه هذه المنحة المبذولة وأصبح عليه أن يجهد لتحصيل غذائه وكسائه ، فلما انتشر أبناؤه على وجه الأرض كان من أهم ما يسمعون له تأمين هذه الضرورة وتوفيرها ليومهم وغدهم ، وقد واجهوا فى ذلك عنقاً بالغاً لأسباب أكثرها مصطنع ، فإن مصادر الرزق المبعثوث فى تراب الأرض وأمواج البحر وذخائر المناجم وغير ذلك لم يدركها جفاف ، بل إنه من الممكن أن تكفل أصعاف ما على الأرض من سكان . لو أنصف الناس وتعاونوا وتطهروا من الغشم والافتيات والاستبداد .

أما ولهذا الشرور فى نفوسهم مرتع خصب فستضيق عليهم الأرض بما رحبت وستجد فى الجرى وراء الرزق وجوهاً كالحلقة ، وأسارى مقطبة ، وغيوناً غائرة ، ونفوساً حطمها الفشل ، وأبداناً أهزلها الضياع . ذلك كله لأن معركة

الخبز الخالدة تدور رحاها على غير نظام متبع ، أوقاعدة مرعية ، وليس لفرسانها  
تقاليد حربية محترمة عدا القتل والأسر ، ولويل للغلوب . وقد نسمع أحياناً  
ههيمه خافتة هي بقية من تعاليم السماء في الحلال والحرام والرحمة والإيثار على  
ان هذه الأصوات النبيلة لا يسمح لها بالارتفاع إلا بعد ما تضع الحرب — في  
معركة الخبز — اوزارها ويستقر الأمر على اغنياء ملكوا الكثير ، وفقراء  
لا يعترفون بالهزيمة إلا خضوعاً للأمر الواقع . !  
ولا معنى لتدين يقف على الحياد في هذا العراك .

وقد ذكرنا في كتبنا الأخرى رأى الإسلام في هذا الكفاح الطويل  
وفي نتأجه السيئة ونريد الآن أن نلفت النظر إلى أن الأخوة التي أمر الإسلام  
بها بين الناس عامة وبين المؤمنين خاصة لن يكون لها وجود ألبتة في الأحوال  
التي يمتثل فيها التوازن المادي اختلالاً فاضحاً بين بعض البشر وبعضهم  
الآخر ، وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة واضحة لآثار هذا الاختلال الشائن  
مع ما يصحبها من فساد ، نورد أطرافاً منها .

### الشلل العقلي

موضع الشخص المحتاج يحىء دائماً دون موضع الشخص المحتاج إليه ،  
هذا يده السفلى وذاك يده العليا ، هذا خطوته المأخرة وذاك خطوته المتقدمة ،  
والمرء عندما يعرف أن قوته وقوت عياله مربوط بشخص ما ، فهو يخضع له  
طوعاً أو كرهاً .

بل الذي يحدث غالباً أن يمتاع أمامه وتذوب نفسيته وتتلشى شخصيته  
ويرى أنه تابع فحسب .

والعلاقة بين رقيق الأرض ورب الأرض وقد تكون كذلك العلاقة



بين عبيد الآلة وصاحب المصنع - كما نرى في بلادنا - تدور على هذا المحور ، والشعور بالأخوة المشتركة بين الفلاح الأجير وبين صاحب الضيعة الكبير ، هو آخر ما يمكن فرضه في وصف العلاقات بينهما . ومهما حاولت إعزاز الأجراء ونفخ روح القوة والاعتداد فيهم لم تصنع شيئاً . إذ أن عظمة النفس الإنسانية تجرح جرحاً مميتاً عندما تلقى مقدراتها وضروراتها . . إلى نفس أخرى ! وفي هذا الجو يولد التقليد الأعمى فإيمان السيد معناه إيمان الأتباع وكفره كفرهم ووجهته وجهتهم !

فإن تسلمى أسلم ، وإن تنصرى يخطط رجال بين أعينهم صلباً !  
وقد سرد القرآن الكريم محاروات شتى بين السادة والأتباع تدل على مبلغ سريان هذه الروح التقليدية بين الأمم الهالكة بسبب ما فيها من خلل اقتصادى . . « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول . يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً . . »

فإذا رأينا بلداً تصطبغ أحواله الاجتماعية بهذه الصبغة وقامت الأمور فيه على أن جماهير غفيرة ترزقها طائفة قليلة . فإن مصير هذا البلد إلى شر لا ريب فيه ! ما لم نسارع إلى تحرير الجماهير من العوز المادى وما يترتب عليه من شلل عقلى ويومئذ يكون للحرية الفكرية مكانها الذى تنبت فيه وتزدهر وتؤتى ثمارها فى ميادين العقيدة والاجتماع والسياسة . أما قبل ذلك فالحرية الفكرية حديث خرافة يدجل بها محترفو السياسة الحزبية !  
وقد يقال إن كثيراً من العبيد تمردوا على سادتهم ولم يكن للإسار المادى

شأن في تعويقهم عن اعتناق ما يرون من فكر . ولدينا بلال وصهيب وغيرهم شاهد صدق على ذلك ! ونحن لا ننكر أن هناك نفراً قليلاً ممن استعبدوا مادياً لم يستطع سادتهم استعبادهم معنويًا ولكن هؤلاء لا تؤسس عليهم قاعدة . وفي كل ألف رجل قد يوجد مثل بلال ، فهل نترك الباقين مادياً ومعنويًا صرعى الأغلال ؟ .

### الضعف النفسى

وتلك آفة خرى تتبع سابقتها ، فإن الإنسان المحرر مادياً وأديباً هو وحده الذى يصدر فى أعماله عن مبدأ ثابت ويتجه فى سلوكه إلى فكرة واضحة وهو وحده الذى يخدم المثل العليا ويتعد فى تصرفاته عن مواطن اللئيم والزاني والصغار . أما الذين تغلب على طبائعهم أخلاق العبيد فهم يهدأون ويتحركون مرضاة للأشخاص وهم يجتهدون للالتحاق بركب من ركاب السادة أصحاب الثروة والسطوة ، يعملون لهم ويعيشون فى دائرتهم ويندفعون أبدانهم ... لا يعرف هؤلاء إخلاصاً لله أو تضحية فى سبيله ، ولا تقديراً للحق أو احتراماً لرجاله .

وإذا كان شرف النفس الإنسانية أن تعتنق هدفاً نبيلاً ثم تفقديه . . . فإن أولئك عبيد الأصنام الحية من البشر . ! وإنك لو اجد أمثلة يتفاوت قبجها هنا وهناك فى الدواوين والتفانيس والأحزاب والهيئات لأقوام يحسنون رفع العقائر بالهتاف النابى ويتفننون فى التقرب والهوان والمرآة للسادة الرؤساء !  
شاعت هذه الظاهرة فى الشرق ، الشرق — أرض الأبعاديات والإقطاعيات والمهراجات والباشوات — وقلت فى الغرب ، إذ تقاربت حظوظ الناس المادية فتقاربت معها حقوقهم وكادت تتساوى أقدارهم وأعان ذلك كله على ترك

النفس الإنسانية تنمو على سجيتهما الحرة لا تعرف سيداً لها تتجه إليه إلا الله !!  
فإذا لم توفق إلى معرفة ربها فهي على أية حال لن تقدر عبيده مهما كانوا  
عظاء ، وانظر إلى موقف إنجلترا من تشرشل وإلى موقف فرنسا من دييجول  
إن هؤلاء الزعماء قادوا أممهم إلى نصر عظيم . ومع ذلك أدارت الشعوب لهم  
ظهورها واختارت من بينها غيرهم لقيادتها ويوجد لدينا رؤسائهم أقزام إلى  
جانب أولئك العمالقة ، أدوا إلى بلادهم أتفه الخدمات ، أو هم على بلادهم عبء  
ثقيل فلا خير فيهم قط ! ومع ذلك فلهم من المسكاة وحولهم من الأتباع  
أو قل لهم من الأموال ولأموالهم من الخدام ما لا يحلم به تشرشل أو دييجول !  
فالمسألة تعود مرة أخرى إلى الوضع الاقتصادي وضيق العدل الاجتماعي فيه  
وأثر ذلك في ضعف النفوس وسقوط الضمان والتفاف الطبائع حول المراتع  
الخصبة . وقد اعتبر القرآن ذلك شركاً « ومن الناس من يتخذ من دون الله  
أنداداً يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حبا لله » .

وهذه الأنداد ليست أصنام الحجارة فقط بل هي الأصنام الآدمية بدليل  
ما جاء بعد « . . . ولو يرى الذين ظلموا — إذ يرون العذاب — أن القوة لله  
جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب  
وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا  
منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » .

فهل الأحوال الاجتماعية المنطوية على تذلل وملق من جانب وتسكبر  
وصلف من جانب آخر هي الأحوال التي يباركها الدين ويدفع عن طواغيتها .

ما ستأخذ مني  
كنت له ينوي  
منه  
ستأخذ مني

## الفساد السياسي

1٦ وذلك ثلاثة الأنبي من صنوف البلاء التي لا يصح معها إزاء . فإن الأساس في قيام الحكومات أن تسهر على مصالح الناس وأن يكون رجالها خداماً للشعب وحراساً على حقوقه .

والمفهوم شرعاً ووضعاً أن الأمم تندب أكفاً أبناءها للقيام بهذه الأعباء الضخمة وتنفعهم لقاء ذلك أجوراً كبيرة فضلاً عما تحيط به أشخاصهم من تكريم وتوقير هم أهل له بكفائتهم المفترضة وأمانتهم المرتقبة . . .

ذلك هو الأساس الذي لم يصدقه الواقع المرئياً قليلاً ، فلا الأمم كانت تختار حكامها ولا هؤلاء الحكام فهموا عملهم على وجهه المرضي .

ولم يزل الحكم في كثير من بلاد الشرق المتأخرة كما قال المعري من قديم .

قلّ المقام ، فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقد شقت الإنسانية طريقاً مضرجة بالدماء مزحومة بالأشلاء حتى

توصلت إلى هدم الاستبداد وكسر الأغلال التي أذات أعناق العباد فمحت

حكم الفرد ثم جاء شوقي ينجي فرعون من خلال القرون قائلاً :

زمان الفرد يا فرعون ولي ودالت دولة المتجبرينا

وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

على أن آفاق الشرق لما نزل تكتنفها ظلمات كثيبة من بقايا القرون المظلمة .

ولكي تعرف الأسلوب الصحيح للحكم الفاضل والسياسة الرشيدة

نسوق لك هذه القصة كما رواها مواطن مصري قال : كنت أقيم في بلد

سويسري صغير معظم أهله من صغار الصناع والمزارعين . كان لهؤلاء الناس

نائب في البرلمان وعرضت واحد منهم حاجة أراد أن يتحدث فيها إلى هذا النائب ، فبحث عنه . فقيل له إنه يجلس مع أصدقائه كل يوم في « بوفيه » المحطة ليشرب الشاي ويتسامر . فذهب إليه ، واستأذن ، وجلس وأخذ يشرح مسأله ، فنظر إليه النائب متضايقا . وقال له : ولكن يا أخى هذه مسألة يحتاج شرحها إلى زمن . ألا ترى أنى الآن في لحظة راحة مع أصدقائى ؟؟ فقال الصانع فى سداجة : - أصدقائك ؟؟ كنت أحسب أنتى من أصدقائك ؟؟ .

— أظن أنى لم أشرف بحضرتك إلا من دقائق — هكذا ردّ النائب المحترم — فقال له العامل : ألم تحطّب فينا قبل أن ننتخبك فأكدت لنا أنك صديقنا وخادمنا؟ معذرة إذا كنت قد صدقنا فالخطأ ليس خطأك . ولكننا لن نخطئ مرة أخرى ، ثم انصرف العامل ، وفى اليوم التالى ظهرت صحيفة البلدة وفيها خبر هذا الحادث ، فاجتاحت البلد موجة تدمر وأحسن النائب بخطئه فبحث عن العامل ليعتذر إليه . . . ولم يجده إلا فى مشرب صغير يسمر مع بعض أصحابه ، فحياه ، وجلس وبدأ يتكلم ، فابتسم العامل وقال : ولكن يا أخى هذه مسألة يحتاج شرحها إلى زمن ، ألا ترى أنى الآن فى لحظة راحة . وأراد النائب أن يتكلم ولكن نظرات السخرية من عيون الجالسين قتلت الكلمات على شفثيه ! وشاعت هذه القصة فى الإقليم كله ، وشعر النائب أنه لا يستطيع الاستمرار فى نيابته .

و بعد أسبوع واحد استقال من مجلس النواب ! .

هذا هناك حيث لا يعد الرئيس سيداً والمرءوس عبداً ، بل الكل إخوة . هذا هناك حيث يسيطر الناخب الحر على النائب ! وحيث يسيطر النائب الحر على الحاكم ، فإن شاء رفعه أو وضعه ! . فكان إرادة الأمة كهرباء تسرى

في أجسام موصلة للتيار ، تبعثها كما تشاء ، أشعة مشرقة ، أو صواعق محرقة .  
أما هنا فالنائب كثيراً جداً ما يكون صنع يد الحاكم ، والنائب المحترم رجل  
عرفته عزبة النائب عاملاً فيها يأخذ من بيت سيده فتات المائدة . والرجل  
الغني يضمن الأصوات إلى جانبه ما دام يضمن النقود في جيبه .

وتعود المسألة مرة أخرى إلى العلة الدفينة التي ذكرناها في جلاء . فساد  
النظام الاقتصادي فساداً تضيع في تغلقه كافة مظاهر الإخاء ، فإن العدالة  
الاجتماعية وحدها هي الوسيلة الفذة لاستقامة الحكم وعدالة الحكام . . .

الأخوة نظام يقرر لا نصيحة تقال

*La fraternité n'est  
pas de la relation  
entre propriétaires  
puissants  
et déshérités  
liés à la  
propriété  
et nation  
à son  
tour  
mal*

ما صرخت في آذان الناس بقول الله : « إنما المؤمنون إخوة » ومهما  
ناشدتهم بقول رسوله : « كونوا عباد الله إخواناً » فلن تجد إجابة عملية شافية  
مادامت المعاملات المقررة تجري على قاعدة التفاوت المادي والأدبي بين طبقات  
الأمّة الواحدة . أما إذا استوحينا طبيعة هذه الأخوة في وضع العلاقات بين  
الملاك وأصحاب العمل وبين الشعب والمرشحين لحكمه فلم نسمح بتأتنا بوقوع  
ظغيان وهوان ، أو عبادة وسيادة ، فعندئذ فقط نستطيع القول بأن لمبدأ الأخوة  
وجوداً في الشرق الإسلامي .

والتدخل في معركة الخبز ضرورة لا يحصى عنها إذا أردنا أن نلزم الناس  
حدود الحلال والحرام ، وأن نزيههم على فضائل العفة والرفقة والإيثار ، وأن  
نحمي الأراذل واليتامى والعجزة والقعدة غوائل الأثرة والحرمان .

وأرى أن بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقبس من التفاصيل التي وضعتها  
الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صوراً — لا تزال مقتنضة — من الديمقراطية  
الحديثة . مادام ذلك في نطق مانع من عقائد وقواعد ، وفي مقدمة ما نرى  
الإسراع بتطبيقه في هذه الميادين تقييد الملكيات الكبرى وتأميم المرافق العامة .

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

## تكافؤ الفرص ...

سمعت رجلاً يتحدث عن أحد الكبراء المرموقين بالتجلة والإكبار قائلاً : هذا شخص لو وقفت به مواهبه عند حدودها لأصبح في عداد الآلاف من المغمورين والمجهولين ، ولكنه وثب حيث وقف غيره ، أو على الأصح وثبت به الحظوظ المواتية — فما يستطيع كسيح مثله أن يثب — فكبرته الصدف المحضة ، ثم كبرت برفع شأنه منطلق العقل والعدالة والإنصاف ، وها أنت ذا تراه في منصبه العالي وأبهته الرائعة ، ملتقى لمظالم فادحة ، ظلم المصلحة العامة ، ثم ظلم ذوي الكفايات المهضومة ، ثم ظلم نفسه التي كلفت فوق طاقتها . !

قلت : يظهر أن الفرص السائجة عند ما تزدحم لخدمة شخص تعطى معجزة المسيح ! فقد كان عليه الصلاة والسلام ينفخ في الطين المرمى بالطرق ، فإذا به طير يخلق في الجو ، ويمسح على عين الأعمى فإذا بصره حديد ! ويأتي إلى الجثة الهامدة فإذا بصاحبها حي يرزق ! أليس كذلك تفعل الحظوظ في الشرق ؟ إنه من قرون طويلة وهذه الحظوظ تحول التراب إلى تبر ، وتخلق من كل مأفون الرأي مسوخ الفطرة سيداً مهاباً مليء السمع والبصر ! .  
ألا ما أكثر الخرافات المقدسة في هذا الشرق المسكين !

فقال لي الرجل مستدركا : على رسلك ، أين معجزة عيسى من فعل هذه الحظوظ ؟ لقد كان عيسى — بإذن الله — يهب الحياة الصحيحة لمجروم منها أما هذه الحظوظ فأقصى ما تصنعه أنها تضفي على الميت صفات الأحياء وهو ميت لا ريب فيه ! وتنقله من القبر الواجب له إلى ديوان فخم ومنصب ضخم حيث ينقض ويبرم ، ويعطى ويمنع ، ويتحكم في الرقاب ، وتعنو له الوجود ، ويزدلف من حوله العبيد .

les chefs actuels  
ne respirent aucun  
esprit de charité  
ou de justice  
ils ne voient la  
justice

ولو أدرك الغافلون في الشرق - وما أكثرهم - حقيقة ما يستلزم لعلوا  
أنما تستلزم الأوهام ، وأنهم عند ما يطوفون بكبرائهم إنما يطوفون بموتى بدلت  
من الأكفان ملابس مزر كشة . وأنهم لو هزوا الكراسى التي يجلسون عليها  
لسقطت من فوقها أجساد بالية !

\*\*\*

عندما يجور ميزان القرض وتذبذب اتجاهاته على غير قانون أو ضابط ،  
تضطرب شئون الأمة كلها وتشيع الفوضى في أمورها كافة ، فكم من عبقریات  
تدفن وذكاه يخبو ومواهب تموت ، وكم من جثث تطفو ، وأغبياء يتحكمون  
وجاهال يسودون ويقودون . وكم حفل الشعر العربي بمن يشكون الزمان  
ويتبرمون بالأوضاع ، ويسخطون على مجرى الحوادث .

والإحساس بالداء الدفين قديم ، ولكن معالجته بالدواء الشافي لم تتم ،  
لأنها لم تبدأ بعد ، ولن تقبل أمم الشرق على عصر جديد من العدالة والضياء  
إلا يوم تجعل من تكافؤ القرض قانوناً يطبق في أوسع دائرة تملكها طاقة  
البشر ! لا يشذ في الخضوع له فرد من الأفراد ، أو حالة من الأحوال .

### حقوق لا مراة فيها

حياة العلم والمعرفة ، وحياة الصحة والعافية ، وحياة الحرية والكرامة ،  
تلك كلها حقوق لا يجوز أن يحرم منها أحد ، بل يجب أن تفجر ينابيعها  
في كل مكان ، وأن يتمكن من مواردها كل إنسان وشرف التقدم لخدمة  
المصلحة العامة ، وتولى مناصب الحكم كبارها وصغراها ، يجب أن يرشح له كل  
ذی موهبة ذكية ، وأن يتساوى أفراد الشعب جميعاً في الحصول على هذا



الشرف تدفعهم صلاحيتهم وحدها دفعاً لا يستطيع مخلوق وقفه ويؤخرهم  
عجزهم وحده تأخيراً لا يردّ تفهقره شيء ! .

والمفارم التي تتعرض لها الأمم يتحتم أن توزع على الجميع بالتسوط فلا تسفك  
دماء لتصان أخرى ، ولا تهدم بيوت لنشاد بيوت ، ولا تتعرض للأخطار طبقة  
وتحصى من هذه الأخطار طبقة ، بل الكل سواء أمام فرص البقاء والبقاء  
والربح والخسارة ، والنجاح والسقوط .

وتكافؤ الفرص في هذه الأمور هو ما توحى به العدالة ، وتهدى إليه  
المساواة ، ويحرص عليه الدين ، ويعتبر التحلل منه تحللاً من أصول الفضائل ،  
وهدماً لقواعد الحكومة الصحيحة ، بل هدماً لكيان الأمة التي تعد نفسها  
خير أمة أخرجت للناس ! .

وما عدت كذلك إلا على أساس تقريرها المعروف وتغييرها المنكر  
وإيمانها بالله وكفرها بالطواغيت ، طواغيت الاقتصاد الجائر والسياسة العمياء .  
لأى وليد في الأمة الحق في حضانة كريمة وكفالة سليمة وأدوار موصولة  
من التعليم والتربية تفتق ذكاه وتنمي استعداده وتزوده في مستقبله بما ينفعه  
وينفع الأمة به .

بيد أن فرص التعلم والاستزادة منه مضيعة تماماً في بعض البلاد مضطربة  
مقلقة في البعض الآخر ، والعلم عاليه ودانيه يباع بأثمان متفاوتة الغلاء ، بل إن  
الذين يستطيعون دفع الثمن المطلوب تقوم في وجوههم عوائق عسيرة التذليل .  
والواجب يقضى بجعل التعليم إلزاماً في مراحل الابتدائية والناووية وبعض  
الدراسات العليا يستوى الكل في منازلها ، لا فارق بين كبير وصغير وغنى وفقير .  
ولأى مريض في الأمة الحق في أن تزاح علبته وأن تشفى سقامه ، وأن

يهياً له المكان المناسب في المصحات والمستشفيات وأن يلتقى من العناية العزيزة ما يخفف بلائه حتى يبرأ تماماً .

بيد أن فرص الشفاء والاستزادة من العافية لا يملكها سواد الناس ، فالأدوية الناجعة والعمليات الجراحية والتمرير الذي لا إهانة معه . كل ذلك باهظ التكاليف لا يستطيعه إلا الأقلون .

والواجب يفرض العناية الدقيقة بالصحة العامة ويجعل مداواة المرضى إجباراً حتى تستأصل الآفات والعايات أو تخف وطأتها عن طبقات الأمة جمعاء . فلا يحرم من الدواء بئس بينما يستطيعه ثرى مكثراً .

هذا كلام يسمعه التعساء من أفراد الشعب فيبتسمون له دهشة يحسبونه أحلاماً تطوف بمخيلة نائم سعيد ، وما دروا أن هذه الأمانى البعيدة في مجتمعهم قد أصبحت حقائق واقعة في كثير من أقطار الأرض على اختلاف نظمها . فأنجلترا وروسيا مع ما بينهما من اختلاف اجتماعى وسياسى واسع الشقة قد طبقتا جميعاً مبدأ تكافؤ الفرص في هذه النواحي الخطيرة .

كل بالأسلوب الذى يروق ويرتضيه . ولم يبق إلا هذا الشرق المسكين أضيع مع حكامه من الأيتام فى مادبة اللئام .

### سياسة الوظائف

كثرت المهام التى توكل إلى إشراف الحكومات فى هذه الأعصار . وكلما ارتقت الأمم وتضخمت مصالحها زاد العبء الذى يقع على كواهل الحكام زيادة باعظة وخصوصاً فى البلاد التى تخضع للنظام الاشتراكى أو تتجه إليه ، فإن هيمنة الدول تكاد تمتد إلى كل مرفق مادى أو أدبى فيها .

وهذه الحقيقة تجعلنا نلفت الأنظار بعنف إلى أن الحكم فن يجب أن

يتعلم على أنه وسيلة إلى خدمة الشعب لا إلى تسخيره ، وإلى إفادته لا إلى الإفادة منه . وأن الوظائف العامة على هذا الأساس المبين ، ليست سلعاً تباع في أسواق المحاباة والزلفى ، بل هي مسئوليات جسيمة ينبغي أن يراعى عند إسنادها ، وعند الترقى في مراتبها خير الأمة فحسب وأن يتم ذلك ضمن حدود محكمة من الذمة والأمانة والضمير .

وإذا ما أردنا تطبيق هذا القانون العادل وجب أن نعلن حرباً شعواء على فنون الرشوة والشفاعة والوساطات المزورة ، وأن نطهر أمعاء الدولة من هذه الجرائم التي التهمت صحتها ، وجعلت الأداة الحكومية تدور كمن به مس من الجنون ، حركات تشنج وتسترخى ولا طائل وراءها .

وعندما تخلو وظيفة ما فليس أحد في طول البلاد وعرضها أحق بها من أحد . إلا صاحب الكفاية بعلمه وتقدمه فيجب أن يصل إليه حقه وهو جالس في بيته لا يتردد على الرؤساء راجياً ولا يفكر في حمل بطاقة من تلك البطانات التي تكلف حملتها الكثير من دينهم وأخلاقهم .

ومبدأ فؤوكا الفرص في ملء الوظائف الشاغرة والترقية إلى كبرائها نعتبره الدعامة الأولى لأية نهضة يراد بعثها في الشرق . فإن سر الفساد العريض المتغلغل هنا وهناك ، يرجع إلى جعل المناصب الخطيرة والوظائف الصغيرة فرصاً ينتهبها المحسوبون والمنسوبون ، كأن الأمة خلت إلا من دمائهم المريضة ! . وإسناد العمل إلى من لا يستحقه فساد مزدوج ، ففيه تضيق للمصلحة العامة وتهديد لمقدرة البلاد على السير والإنتاج وفيه استهانة بالأكفاء من المواطنين الصالحين تترك في نفوسهم آثاراً سيئة من الغضب والموجدة على دولة لا ترعاهم ولا تحترمهم . وأصحاب الشهوات والمآرب في إبقاء تلك الأحوال مجرمون في حق الدين والوطن ، لا يستكثر عليهم جبل المشنقة ولا سكين المقصلة .

## استغلال النفوذ وانتهاز الفرص

من الأنباء التي لها دلالتها العميقة ، ما قرأناه عن مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة أنه في سبيل دعايته لنفسه كما ينجح في انتخاب الرئاسة الأخيرة ، دعا رجال الصحافة إلى زيارة بيته ليروا بأعينهم ما تعانيه امرأته — كربة بيت — في مواجهة أزمة الغلاء العامة . . . أي أن الرجل وامرأته على عظمة منصبهما ، لا يزيدان في معيشتهما عن المستوى المعتاد للرجال والنساء بأمر يكا ! .

وما قرأناه كذلك من أن القصر الملكي بإنجلترا ، قدم لوزارة التموين طالباً بعض المواد والمرافق التي يحتاجها فأخذ طلبه الدور الذي يستحقه على حسب الترتيب التاريخي للطلبات السابقة واللاحقة التي تقدم بها بعض أفراد الشعب .

ومع أننا نذكره إنجلترا وأمريكا ، ونذكر في حرارة موقفهما من حقوقنا العادلة ، وعدوانهما الخسيس على بلادنا وقضايانا ، فإننا مضطرون إلى ذكر هذه الأمثلة ليشرح الأغبياء هنا ببعض أسباب القوة التي تتركز عليها هذه الأمم القوية ، سواء دافعت عن نفسها أوهاجمت غيرها .

\*\*\*

فإن أولئك الرؤساء الكبار لم يحصلوا على معيار السلطة التي حصل عليها بيننا عمدة قرية أو موظف صغير في أثناء الضوابط التي حلت ببلادنا وبلادهم أخيراً .

كان قانون تكافؤ الفرص هناك يحول دون الافتيات واستغلال النفوذ . أما لدينا فجمهور الشعب يحصل على حاجات تافية بشق الأنفس وكل ذي نفوذ ضيق أو واسع يستطيع أن يجلب لنفسه وأهله ما يشاء ! .

وقد ذكرنا في كتبنا الأخرى طائفة من السواق الإسلامية الأولى  
في هذه الأمور . غير أن جمهور المسلمين يحسب أن ما حدث من عدالة رائعة  
أيام الصحابة قد انفرد به عصرهم الكريم ، فمطالبة الخلف بالسير على غراره  
ضرب من المستحيل ! .

ومن ثم فإن نستطيع بلوغ السكالم الذي بلغوه وتحصيل النضائل  
التي حصلوها .

ولا مانع — في منطق هذا التفكير القاصر — أن يعتذر بهذا الكلام  
عن التخبط السياسي والاجتماعي الذي نعيش فيه . وهذا ما اضطرنا إلى سوق  
الشواهد الصارخة من حياة الأجانب حتى ينجبل عند سماعها القمعدة والمفرطون ،  
وحتى يعلموا أن في الحياة الدنيا سباقا إلى الخير لا يجوز أن ينكص عنه  
الأولون ولا الآخرون .

إن الشعوب المترنحة في الشرق تنظر إلى حكامها ثم تذرِف الدموع على  
عهد عمر وأمثاله ! .

والدمع للأمم كما هو للأفراد شر الأسلحة ! . إن السياسة العمرية طُبِّقت  
في بلاد شتى فهل عجز المسلمون عما استطاعه الكافرون ؟ .

AMERICAN UNIVERSITY IN WASHINGTON

AMERICAN UNIVERSITY IN WASHINGTON

(٣)

نماذج العدالة في الاسلام

# أبو ذر

## لم يكن شيوعياً ولا رأسمالياً

ولكن كان اشتراكياً مسلماً

تشيع بين الناس أغلاط تاريخية كثيرة ، تبدو أمام أعينهم كأنها حقائق مقررّة ، حتى إذا ما عرضت على محك النقد الصحيح ، ووضعت تحت النظر الناقد تبددت كالدخان الغائم عصفت بسحابته الرياح . . .

وقد كثرت هذه الأغلاط في التاريخ العام حتى زعم بعضهم أن التاريخ مجموعة أكاذيب تحبك عقدها الدول المنتصرة والأنظمة المغلبة والرجال المسيطرون. وهذا كلام مبالغ فيه جداً ، وإن لم يخل عن إثارة من صواب تجعلنا لا نقبل من الآراء والأفكار إلا مارساً أصله وثبت عوده على طول العجم والنقد والمقارنة والتمحيص .

ومن الرجال الذين طارت ظنون سوء حول سيرتهم ، وتكاثرت التخرجات الباطلة حول منهجهم ، الصحابي الجليل أبو ذر ، وليس أعلى بي ذر بأس من كلام الناس فيه ، فقد ظل علي بن أبي طالب يلعن على منابر المسلمين قرناً من الزمان ، فما كسف هذا الافتراء شعاعاً من شمس ، ولا نقص فتيلاً من عظمة نفسه . وهيهات ! ؟ .

فأبو الحسن وأبو ذر وأمثالهما قد خلد القرآن رضوان الله عليهما « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه . . . »

وما نعلم أن الله سحب عنهم رضوانه بعد أن أنطق بذلك قرآنه ! . إن



آراء أبي ذر في المال لا شدوذ فيها ومذهبه فيه هو مذهب جمهور المسلمين  
وأجلة الصحابة قبل نشوب الفتنة الكبرى وانقلاب الأوضاع رأسا على عقب  
وما ينقم الناقدون على أبي ذر إلا أنه كان وفيا لتعاليم الرسول التي غرسها في دمه  
ورباه عليها أصدق تربية . وهي تعاليم لم ينفرد أبو ذر باعتمادها وإذاعتها ؛  
بل كان مقتفيا فيها آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده ،  
وسرى حقيقة خلافه مع ولاية عثمان والمشيرين عليه ونكشف الحجب عن  
الحق وجه في هذا الخلاف العنيف .

\*\*\*

أما أن أبا ذر استقى نزعة الاشتراكية عن الرسول صلوات الله وسلامه  
عليه فيدل على ذلك ما رواه هو عن نفسه : « كنت أمشي مع النبي في حرّة  
بالمدينة فاستقبلنا جبل أخذ . فقال : ما يسرنى أن عندى مثل أخذ ذهباً تمضى  
عليه ثلاث ليال وعندى منه دينار ! إلا شئاً أرصده لدين : إلا أن أقول  
في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا ؛ مشيراً بيده عن يمينه وعن شماله وعن خلفه  
ثم سار فقال : إن الأكتارين هم الأفلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا  
وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ، وقليل ما هم . وفي رواية إن الأكتارين  
هم الأخسرون ، أو هم الأسفلون . وهذا الذي رواه أبو ذر روى مثله أبو هريرة  
وابن مسعود وغيرهم من رجال الصحابة جمع كثير .

وقلة الاكترت بالأغنياء ، وجعل موازين الناس ومنازلهم تابعة لكفائاتهم  
الخلقية والعلمية وحدها ، وربط أمور المجتمع بهذه القواعد الصحيحة ، نزعة  
اشتراكية تعلمها أبو ذر من الرسول نفسه ، كما روى هو ذلك : « قال لى الرسول  
يا أبا ذر أرى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت نعم يا رسول الله . قال : أفترى قلة  
المال هو الفقر ؟ قلت : نعم يا رسول الله ! قال : إنما الغنى غنى القلب . والفقر .



مع تصانيفه  
في تاريخه

من

وهذا تصوير على جانب كبير من الصدق للمجتمعات الرأسمالية المنحطة ؟  
وهل للدين عمل إلا إصلاح هذه الأوضاع ؟ لماذا تكون للعال هذه السطوة  
كلها ؟ لماذا يذم بقلته المدوح ؟ ويستتر بكثرتة المفضوح ؟ وينطق لوفرتة الغبي  
ويخرس لضآلته الذكي ؟ ولماذا تتكاثر فرص النجاح الأدبي أمام واجديه  
وتتعدم أو تندر أمام فاقديه ؟؟ .

وكيف نترك مجتمعات الإسلام لتتهدر إلى هذا المصير الذي تضرب  
فيه المقاييس ولا تتكافأ فيه الفرص أمام أبناء الأمة جميعاً ؟ ومن أين للناس  
كل يوم نبي يكشف لهم العطاء عن أقدار الناس فيهبى بالكبار ويرتفع  
بالصغار كما فعل الرسول عند ما علم أبا ذر وغيره من الصحابة وجه الحق في معرفة  
الناس ؟ ولماذا يلام أبو ذر على منطق هو رأى الإسلام الصحيح ؟ .

يقولون إن أبا ذر كان شيوعياً ، وأن له في مذهبه أجر المجتهد المخطئ ،  
ومحن نتساءل لم ينسب أبو ذر لهذا المعنى ؟ ولم نظلم الرجل الكبير ونظلم  
الإسلام معه ؟ بجعل الاشتراكية الإسلامية الواجبة ، نزعاً شيوعية محاربة ! لقد  
كان أبو ذر صاحباً أميناً لرسول الله ، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى بقي صاحباً  
أميناً لخليفته من بعده . ظل وادعاً قرير العين في عهد أبي بكر وعمر ، وهو يرى  
أضواء الإسلام تأخذ مسيرها في آفاق العالم و جنود الحق يهدمون معازل  
الأروستقراطية الكافرة في فارس والروم . . ويردون الناس إخواناً على فطرة  
الله التي فطر الناس عليها : ولم يكن هناك ما يريب من سير الأحوال في داخل  
بلاد الإسلام ، فلما حاولت فئات من المتعطلين والمتحللين أن تخلد إلى الراحة  
وأن تنقل أخلاق الدعة والركود إلى مجتمعات الإسلام الناهض ، وأن تكون  
من غنائم التوح وإقبال الدنيا طبقات مترفة لا تشغل لها إلا باللذائذ والشهوات  
بدأ أبو ذر وغيره يزجرون وإن كان أبو ذر أعلى صوتاً وأصدق حجة وأعظم

CAIRO

سابقة . نعم بدأ أبو ذر يستنكر . مع أنه في أيام عمر كان بادي الرضا عن الحالة العامة ، مستريح الضمير للأسلوب الذي حكم به عمر جمهور الأمة ، فهل كان عمر كأبي ذر شيوخيا كما يقولون ؟

روى أن عمر « . . . خرج كثيبا محزوننا فلقية أبو ذر فقال له مالي أراك كثيبا حزينا ؟ فقال ومالي لا أكون كثيبا حزينا وقد سمعت بشر بن عاصم يقول سمعت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول من ولي شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم ، فإن كان محسنا نجا وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى في جهنم سبعين خريفا فقال أبو ذر « أو ما سمعته من رسول الله ؟ قال لا ، قال أشهد أني سمعت رسول الله يقول « من ولي أحدا من المسلمين أتى به يوم القيامة على جسر جهنم فإن كان محسنا نجا وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيها سبعين خريفا ، وهي سوداء مظلمة » فأى الحديثين أوجع لقلبك ؟ قال : كلاهما قد أوجع قلبي فمن يأخذها بما فيها ؟ قال أبو ذر من جدع لله أنفه وألصق خده بالأرض : أما إنا لانعلم إلا خيرا : وعسى إن ربيتها من لا يعدل فيها أن لاتنجو من إثمها . . . »

\*\*\*

فهاهو أبو ذر يعلن رأيه عن سياسة عمر تأييدا وتعصيذا ، بل هو يرغب إلى عمر أن يتحمل أعباء الخلافة ولو ضاق بها ذرعا ، خوفا أن يلي الأمر من بعده من يسيء إلى نفسه وإلى المسلمين ، ولا غرو أن يكون ذلك رأى أبي ذر فإن أمير المؤمنين عمر هو صاحب الكلمة الرائعة . . . « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء . . . »

وحكم عمر كان امتدادا موقفا للخلافة الأولى التي سوت بين مانعي الزكاة والمرتدين وأعلنت عليهم حربا واحدة وكلا الخليفين كان يمشى في آثار النبوة

بجزم وقوة ولم يكن صاحب الرسالة العظمى إلا أسوة حسنة للانغماس في عامة الشعب والعمل لهم وفيهم . . . ولذلك يقول « أبغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » فالمسلك الرشيد بل المنهج الفريد الذي يرسمه الإسلام سياسة الشعوب الاقتصادية والاجتماعية هو كفالة كتل الشعب الكبيرة والاعتزاز بها ومنع كل شارة من شارات الفطرسة والترفع عليها ، فهل يلام أبو ذر أن فهم من الإسلام هذه الحقيقة السافرة لكل ذى عينين ؟ .

ثم تولى عثمان الخلافة وعثمان رجل لا يرقى إلى نبه شك ، وسوابقه في الإسلام تشهد له بالفضل الجم والبذل المشكور والجهاد المقبول ، غير أن عثمان من أسرة عبد شمس ، وأفراد هذه الأسرة يعتبرون في مؤخرة المؤمنين وإن كانوا في الجاهلية بيت سيادة وحكم ، كانوا أول من حارب الإسلام وآخر من دخل فيه ، وقد كان رأى أبي بكر في هؤلاء وأمثالهم أن يسووا بأهل السبق والهجرة فيما يأخذون من بيت المال حتى جاء عمر فرفض هذه التسوية وأعطاهم حسب منازلهم من دين الله فعادوا مرة أخرى إلى منزلتهم في مؤخرة الصفوف . لكن حينئذهم إلى استعادة مجد الجاهلية وما كان لهم من عز وسلطان لم يفارق دمهم لحظة ، فما كاد عثمان يُختار للخلافة حتى توائبوا من حوله ، والتفوا به وامتدت أيديهم إلى المال تأخذ منه أنصبه لم تكن تقع لها قط في صدر الخلافة فهم قريباً من عثمان بالمدينة أو بعيداً عنه بأطراف الدولة لم يكن لهم شغل شاغل إلا هذا الطمع المفضوح في أموال المسلمين . وقد أثار هذا التصرف غضب الكثيرين ، واهتاج له أبو ذر فيمن اهتاجوا ، إلا أن أبا ذر له خصائصه النفسية التي جعلته في مطلع إسلامه يذهب إلى مجمع أئمة الكفر يعلن وسطهم اعتناقه للدين الجديد لا يبالي بعواقب هذه المصارحة التي كلفته ضرباً مبرحاً ولكميات مؤذية ، لكن حسبته أن يسمع زعماء الكفر في مكة ما يكرهون وأن

يدعهم قلقين على مستقبلهم من رجولة أمثاله وعنادهم وجرائمهم . . .  
هذه الخصائص النفسية لم تفارق أباً ذر لما وجد الاضطراب الفاشي  
في سياسة المسلمين الاقتصادية ، فوقف له بالمرصاد معتقداً أن الشغب على المنكر  
أمر يطالب الله به أصحاب النفوس القوية .

\*\*\*

فلما أصدر كعب الأحبار فتواه : « أنه لا بأس أن يأخذ الحاكم من بيت  
المال ما شاء لينفقه فيما ينتويه من أمور ويعطى منه من يشاء من الناس »  
صرخ أبو ذر ، وأمسك بعصاه وأعملها في صدر كعب وهو يقول : « يابن اليهودي  
ما أجرأك على القول في ديننا ! وهذه الفتوى باطلة — وما أكثر الفتاوى  
الباطلة التي تتعاقبها الحكومات — فإن القرآن الكريم قد حدد مصارف  
الزكاة إن كان المال المجموع زكاة ، وحدد مصارف الغنيمة إن كان المال  
المجموع فيئاً ، ودافعوا الضرائب إنمنا يؤدونها لتنفق في مصالحهم العامة ،  
لا في إتراف شخص أو إبطار أسرة ؟ فأني للحاكم بعد هذا أن يتصرف كيف  
شاء في أموال الأمة ؟ وهذه الفتوى ليست إلا دساً يهودياً لإفساد الإسلام بعد  
ما أفلح الدس اليهودي في التخلص من « عمر » أعظم فقيه اشترأ كي تولى  
الحكم فأحاله بعبقريته نظاماً لا ينفق فيه درهم إلا في موضعه الحق من مصاحبة  
الشعب ، فلم يجمع أحد في عهده ولم يتعمر ، ولم يبطر أحد في عهده ولم يطغ . . .  
وما أحوج الشرق الإسلامي إلى عصا أبي ذر مرة أخرى تؤدب ما خلف  
كعب الأحبار من « كعوب » ، وما أحدثته هذه الكعوب في جسم الأمة  
من ندوب . . .

\*\*\*

ونشب خصام عنيف بين أبي ذر ومعاوية أيام ولايته في الشام ، وإنه



لك أن تخزن منها شيئاً ولكنك خاتمت الرسول وأبا بكر وعمر وكنزتها لك  
ولبنى أمية . . . لقد أغنيت الغنى وأفقرت الفقير .

وهذه المناقشات تطل من وراءها طباع الرجلين هذا على صراحته  
واستقامته ودفاعه عن الحق . وهذا على مداورته وسعيه الخفي لبلوغ مأربه  
واحتياله في شراء خصومه وكبح جماحهم بكافة الوسائل المتاحة له . . .

وروى أن معاوية أرسل لأبي ذر خفية مائة ألف درهم - لعله أراد  
إسكاته بها - فأخذها أبو ذر ووزعها على الناس عن آخرها . وبقى كلاً  
الخصمين في موقفه : ذلك : باسم أن المال لله يريد إنفاقه لغير الله ، وهذا  
باسم أن المال للمسلمين يريد إنفاقه في سبيل الله ؟ فما أعجب التسميتين وأغرب  
الغاييتين وتقدال معاوية لأبي ذر إنني أدخر المال لإنفاقه في وجوه المصالح  
العامّة ، فرد عليه أبو ذر : إنك لا تريد بمطايك وجه الله بل تريد أن يقال :  
إنك جواد وقد قيل . . . !

\*\*\*

ولم ير معاوية بدأ من الاستعانة بعثمان لإخراج أبي ذر من ديار الشام  
كلها . فتم له ما أراد وأفقرت الشام من صوت الإصلاح النذ في ربوعها : وكان  
إخراج أبي ذر على صورة مزربة بمكانته وماضيه الناصع وسمعته النقية :

لقد أخرج منهما بيت المبادئ المتطرفة وتجميع الناس عليها ؟ أو بلغه  
عصرنا هذا متهماً بالشيوعية ؟؟ والذي تولى اتهامه معاوية ، وقد أبرم هذا  
الحكم وأيده عثمان فيه . ويقيني أن عثمان لو اطلع الغيب وعرف ما كان معاوية  
يدبره لمستقبله ومستقبل أسرته بل لمستقبل الإسلام والمسلمين جميعاً ، ما خذل  
رجلاً من السابقين الأولين هذا الخذلان المريب في موقف لا مطعم في بواعثه  
أو أغراضه ، فلماذا لا توصف حركات أبي ذر بالشيوعية ولا يرمى بالتطرف  
إلا في هذا العهد الأموي ؟؟



وأيّن كانت هذه التهم خبيثة على عهد الرسول ومن بعده ؟ بلى .. إن كل صوت يدعو إلى الخير ويقسو على الشر ، ويعرف مصدر الداء ويمسك بخناقه ، ويملاّ الدنيا صياحاً حوله يعتبر صاحبه في عرف المعرضين متطرفاً وإن كان منصفاً ؟

إن السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ما كان يجوز إهدار حقهم على هذا النحو . ولقد كان عثمان رضى الله عنه أول من ذهب ضحية هذه السياسة التي جرأت الصعاليك على أفضل هذه الأمة . على أن أبا ذر لما عاد إلى المدينة لقي من الناس إقبلاً حاشداً وحفاوة رائعة . وأخذت الجماهير تلتف به كأنها لم تره قبل اليوم ، فرأى عثمان أن ينفيه إلى « الربذة » حتى لا تشيع قائلته ، ومنع أن يودعه أحد في طريقه إلى منفاه ، ولكن على بن أبي طالب أبى إلا أن يؤدي حق هذا الرجل العظيم ، وآلمه أن ينفي أبو ذر هكذا ، كأنه من قطاع الطريق ؛ بينما يترك قاطعو الطريق على مستقبل الأمة الإسلامية يلبون ويمرحون ، ويثرون ويدخرون . فخرج على وأولاده يودعون أبا ذر لوجه الله ، وكان هذا التوديع من أسباب الجنوة بين على وعثمان .

\*\*\*

ولن يعدم منتحلو الأعذار ما يسوغون به القسوة على أبي ذر بدعوى حماية الدولة وصيانة نظمها ، وهي دعاوى يرحم بها الأبرياء أكثر مما يرحم بها المجرمون ، فإن يكن للأولين عذر في اتهام أبي ذر فما هو عذر المناخرين بعد ما تكشف الحوادث عن الفتنة الكبرى ودارت رحى الإسلام على أهله سنين عدداً ؟ .

تبين أعقاب الأمور إذا مضت . وتقبل أشباها عليك صدورها  
أفلو أخذ برأى أبي ذر فقصى معاوية عن الشام ، وعادت الأمور في المدينة



والإعزاز للجمهور الأمة . وكانت سياسته الصارمة ترجمة صادقة للمبادئ التي  
سعت الإنسانية بعده بضعة عشر قرناً لتصل إلى تقريرها في ميادين الاجتماع  
والسياسة والحكم والاقتصاد . !

استطاع هذا الرجل العبقري أن يستلهمها من آيات الوحي الإلهي وروائع  
الحكمة النبوية ، فكانت حياته إشعاعاً من القرآن وامتداداً لعصر النبوة ،  
وميزاناً لا يخل في تقويم المبادئ وتقدير الخطط العامة . وقلما تتلمس أمثلة  
للحرية والإخاء والمساواة وتكافؤ الفرص وقواعد الشورى ومبادئ العدالة  
الاجتماعية إلا وجدت في تاريخ عمر الكثير منها : « لو كان عمر من رجال  
القرون الحديثة أو رجالات الغرب لاعتبر من مؤسسي النهضة الحرة ومن  
قادة الحضارة الإنسانية الذين تتضاءل عند أسمائهم ألمع الأسماء وهيئات أن تجد  
في أساطين الديمقراطية والاشتراكية من يداني ابن الخطاب فيما وضع من  
دساتير الحكم ومناهج العدالة .

ولكن رجالات الشرق العظام دفنوا في تاريخه المضطرب كما يدفن  
الذهب في التراب . فإذا ما أحيينا سيرتهم أبرزنا أعمالهم في المؤلفات ولم نفتقد  
بها ؛ أو نبرز طرفاً منها في أساليب الحكم وتكوين الحكومات . ولم تفكر  
 يوماً أن نهتدي بها في فك أسرار الشعوب المعذبة وإنصاف شتى الطبقات .

وهل كانت عظمة عمر إلا في أنه صاحب فلسفة عملية أخذ يحلم بها أمثال  
روسو وميرابو ؟ فكان الرجل الرباني المنفذ لها . وكان هؤلاء أصداء هزيلة  
لثورة المضطربة الساعية على غير هدى إلى الحرية والإنصاف والعدالة ؛ والتي  
كان شرها وخيرها سواء .

يا للإسلام من دين : « لو كان له رجال » ! . رجال يلهمون فهم عمر  
ويحكمون به حكم عمر رضى الله عنه .

تسوية  
نزلت في  
ما يتكلم  
العلماء

ولسنا بهذا نترجم للخليفة الراشد عمر ، فاعمر بالرجل الذي يذكر تاريخه  
 في سطور ؛ ولكننا فقط نقارن بين ما كان وبين ما هو كائن .  
 وما دمنا بصدد التحدث عن المال وتقييده وتوزيعه فلا بد من تعرف  
 آراء الفاروق فيه .

### استغلال نفوذ الحكم

المال  
 لا يملكه  
 إلا الله  
 والذين  
 آمنوا  
 وهم  
 الصالحون  
 الذين  
 آمنوا  
 وهم  
 الصالحون

يقول العامة عندنا ( من فاته الميرى يتمرغ في ترابه ) والباعث على هذه  
 الكلمة التي سارت بينهم مثلاً أنهم يرون في الحكم وما يتصل به من قريب  
 أو بعيد مغنا يرضى الطمع ويشبع الشهوة ويرسل الثروة والجاه والنعمة غدقاً  
 مدراراً . وليست عظمة الحاكم عندنا أنه موظف مضمون الراتب مرفوع المرتبة  
 بل إن ما يحيط بالحكم من سطوة ؛ وما يخف به من أهبة ، وما يضافه على  
 صاحبه من تمكين ، وما يقرر له من حقوق جهل الحكم - في كل بلد  
 متأخر مسكين - باباً إلى جمع الأموال المتكاثرة من طرق شتى .  
 ما يجهل فيها أكثر مما يعرف ، ظاهرها منكر وما خفي أعظم . !  
 هذا ما يحدث في بلاد الإسلام ! . أما مانفذه عمر من حكم الإسلام  
 الحق فهو مصادرة هذه الأموال المجموعة في أثناء الحكم وردها إلى بيت  
 مال المسلمين .

لقد  
 =  
 م  
 م

فعل عمر هذا مع أبي سفيان وأبي هريرة وغيرها .  
 وقد ولي عتبة بن أبي سفيان على كنانة فقدم معه بمال . فقال : ما هذا  
 يا عتبة ؟ فقال : مال خرجت به معي واتجرت فيه ! . قال : ولم تخرج هذا المال  
 معك في هذا الوجه ؟ فصيرره في بيت المال !! وكانت التجارة هي التكاة التي  
 يعتمد عليها بعض الولاة في جمع هذه الثروات . فحرم عمر التجارة على الولاة

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO





روى الطبري عن الحسن البصري ، قال : كان عمر بن الخطاب قد حاجر  
على أعلام قريش من المهاجرين الخروج إلى البلدان إلا بأذن ، وأجل ! . . .  
فشكوه . . . فبلغه — ما يقولون فيه — فقال : « . . . ألا وإن الإسلام قد  
نزل ، ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ! .  
أما وابن الخطاب حتى فلا ! . . . إني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش  
وحجزها أن يتهافتوا إلى النار » !

فلما مات عمر وجاء عثمان لم يأخذ الناس بهذه السياسة المالية الخازمة ،  
فوقع المخطور روى الطبري أنه لم تمض سنة على إمارة عثمان حتى اتخذ رجال  
من قريش أموالاً في الأمصار وانقطع إليهم الناس . . . ! «  
فكان هذا أول الوهن .

لست أرى شيئاً  
مما هو عليه

وعمر الذي يعتقل سادة قريش ويضيق الخناق على تصرفاتهم المالية  
لم يكن يفعل ذلك إلا لمصلحة الشعب العليا . هذه المصلحة التي كانت تجعله  
يطوف بيوت الفقراء في المدينة يقرع أبوابها سائل النساء : ألكن حاجة ! .  
أتريد إحداكن أن تشتري شيئاً ؟ ثم يرسل في حوائجهم يقضيها من الأسواق  
ومن لم يجد عندها مالاً اشترى لها من ماله الخاص . . . وكان يسير خلف البريد  
إذا أتى من الثغور حيث يربط المجاهدون أو إذا جاء من ميادين القتال ، ثم  
يقف بالأبواب قائلاً : أزواجكن في سبيل الله وأنتم في بلد رسول الله . إذا  
كان عندكن من يقرأ الرسائل . . . وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لسنن ! .  
وهكذا استطاع عمر أن يأخذ من الروابي السماء ، ويضع في الشقوق  
الغائرة ، فأعلى الوهاد ، ووطأ النجاد ، وأعادها طريقاً مستوية لا ترى فيها عوجاً  
ولا أمثاً ، سارت فيها مواكب الإسلام سيراً حثيثاً إلى النصر والكرامة فلم  
تجد أمامها عقبة ولا عائقاً . . . ! !

## رجل زاهد في بيئة مترفة

أما عمر بن عبد العزيز فقد كان نسيج وحده في دولة لعب ملوكها بالمثل الإسلامية العليا في السياسة والاقتصاد ، فما كاد يتولى الحكم حتى حمل عن أسلافه أعباء ثقلاً . . . وأعانه الله على النهوض بها فجدد للناس سيرة سميه الأول عمر ، إذ اقتنى أثره وأخذ بسببه واتصل بنسبه ، وكان بحق الخليفة الراشد الخامس في تاريخ الإسلام . إن عمر بن الخطاب جاء بعد أبي بكر ، عدلاً بعد عدل ، ونوراً على نور . كتب أبو بكر مقدمة رائعة لأساليب الحكم الصحيح ورسم اتجاهاته ، فجاء عمر يبني على أساس سليم ويستكمل الفصول الطويلة في هذا الكتاب المشرق . أما عمر بن عبد العزيز فقد وجد أغلظاً فاضحة يجب أن يصححها ، ومظالم فادحة يجب أن يطرحها . . . ورد المظالم — في نظر الإسلام — أساس التوبة الصحيحة ، فليس يقبل من اللص أن يتوب وأموال الناس التي سرقها في بيته ، وليس يوصف الحكم بأنه استقام على أمر الله ومشي على صراط القرآن ، إلا إذا برىء براءة تامة من دماء الناس وأموالهم ، وتنبه عن الخوض المحرم في حقوقهم التي كتب الله لهم .

ومن ثم وضع عمر نصب عينيه أول ما تولى الخلافة أن يرد على الأمة ما أخذ منها بالقوة الغاشمة وهذه السنة الكريمة سبق بإقرارها على بن أبي طالب كرم الله وجهه فلم ير أن مضى المدة يسقط الحقوق الثابتة — كما يزعم القانون المدني — ولم ير أن وضع اليدين على أرض منهوبة ، أو أموال مسلوقة ، يحلها لمن استولوا عليها كرهاً ، أو يقطع عنها صلة أصحابها الأولين الذين تركوها قهراً . . . روى أنه كانت لعثمان قطائع أقطعها الناس — ولم يكن ذلك من رأى على — فلما تولى الخلافة قال : « والله لو وجدته — هذا المال — تزوج به



النساء وملك به الإمام لردده ، فإن في العدل سعة . ومن ضاق عليه العدل  
 فاجور عليه أضييق !! » ويقولون إن هذه السياسة الشديدة هي التي هزمت  
 علياً مع خصومه ! ونحن نقول : وانهمزام هذه السياسة وخذلان أصحابها هو  
 الذي أصاب المسلمين بعدُ بهزائم نقضت عروتهم وأوهت دولتهم .. إذا انهزم  
 الشرف في معركة هانت بين الناس مبادئ الشرف ؟ وهل معنى الاستنجاد  
 بالدين لحراسة الأملاك الباطلة إلا أن اللصوص يستنجدون برجال الأمن  
 ليعينوهم على إخفاء الجريمة والتعفية على آثارها ..؟؟  
 فأى خيانة للدين والأمانة أشد من هذا الموقف المريب ؟؟

منه نرى  
 في السياسة  
 ما لا يمتنع  
 عليه

### ردوا المظالم أولاً

لكن عمر كان نعم الحاكم الأمين على تعاليم الإسلام وعلى حقوق الناس ،  
 فلما صارت إليه الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك أقبل ركب الخليفة فرأى  
 عمر خيلاً وبراذين وبغلاً مطهمة ، لكل دابة سانس ، فقال : ما هذا ؟ —  
 قالوا موكب الخليفة ، يظهر فيه الخليفة أول ما يلي الأمر . ! فالتفت إلى مزاحم  
 — اسم تابعه — وقال : ضم هذه إلى بيت مال المسلمين . وفعل ذلك  
 بالسراقات التي نصبت له فضمها إلى بيت المال . . ولما بلغ منزل الخلافة  
 قال أولاد سليمان له : هذا لك ! وهذا لنا ! فقال وما هذا ؟ — هذا مال بس  
 الخليفة من ثياب وما مس من الطيب ، فهو لولده ! وما لم يمس فهو للخليفة من  
 بعده ! هو لك . فقال عمر : ما هذا لي ولا لسليمان ولا لكم ولكن يا مزاحم :  
 ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين . . . تلفت عمر حوله فألقى نفسه قد ورث  
 عن أبيه ضياعاً وأموالاً وخشى أن تسكون مأخوذة من طرق غير مشروعة  
 فأمر بردها كلها إلى بيت المال ثم خرج إلى المسجد والناس مجتمعمة فيه فأخبرهم

بأنه بدأ بنفسه في إعادة الحقوق إلى أصحابها . . . وجاءه عتبة بن سعيد بن العاص ، وكان صديقاً له وقال : يا أمير المؤمنين : إن سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضتها ! فتوفى على ذلك وأمير المؤمنين أولى بإتمام الصنيع عندي ، وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين سليمان . فقال عمر : عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين ! وأدفعها إلى رجل واحد ؟؟ والله مالي إلى ذلك سبيل ؟ هذا لون من العفاف والمعدلة والحرص على ميزانية الشعب (أن) تنفق في وجوه السرف والبطر (تلهج) من ورائه خلق رجل ليس من صنف الملوك الذين سبقوه على ولاية هذه الأمة فاستباحوها لأنفسهم . إنه من صنف آخر يذكر بدولة الخلافة الراشدة وسيرة الأئمة المهديين . واقد خطب الناس يوماً فكان من خطبته قوله « . . . إنكم تعدون الخارب من ظلم إمامه عاصياً ، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم . ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله ، ثم قال : إنه لحبيب إلى أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها . ولا قوة إلا بالله . » وهذه الخطبة الموجزة تصور لنا نفسه وترسم سياسته وتبين أن الحكومة الصحيحة هي التي تصون على الشعب ماله وعرضه وتعتبر هذا وظيفتها الأولى . فهل من الدين أن يكون رجال الحكم عبثاً على الشعب ؟ يعصبون ماله ويأكلون حقه ، فإذا خرج عليهم أحد استفتوا الدين ليعتبروه ثأراً وليقتلوه كافرين . . . ! ذلك ما أبي عمر بن عبد العزيز القول به !!

١٠٩  
١٠٨  
١٠٧  
١٠٦  
١٠٥  
١٠٤  
١٠٣  
١٠٢  
١٠١  
١٠٠  
٩٩  
٩٨  
٩٧  
٩٦  
٩٥  
٩٤  
٩٣  
٩٢  
٩١  
٩٠  
٨٩  
٨٨  
٨٧  
٨٦  
٨٥  
٨٤  
٨٣  
٨٢  
٨١  
٨٠  
٧٩  
٧٨  
٧٧  
٧٦  
٧٥  
٧٤  
٧٣  
٧٢  
٧١  
٧٠  
٦٩  
٦٨  
٦٧  
٦٦  
٦٥  
٦٤  
٦٣  
٦٢  
٦١  
٦٠  
٥٩  
٥٨  
٥٧  
٥٦  
٥٥  
٥٤  
٥٣  
٥٢  
٥١  
٥٠  
٤٩  
٤٨  
٤٧  
٤٦  
٤٥  
٤٤  
٤٣  
٤٢  
٤١  
٤٠  
٣٩  
٣٨  
٣٧  
٣٦  
٣٥  
٣٤  
٣٣  
٣٢  
٣١  
٣٠  
٢٩  
٢٨  
٢٧  
٢٦  
٢٥  
٢٤  
٢٣  
٢٢  
٢١  
٢٠  
١٩  
١٨  
١٧  
١٦  
١٥  
١٤  
١٣  
١٢  
١١  
١٠  
٩  
٨  
٧  
٦  
٥  
٤  
٣  
٢  
١

### الضرورات ثم الكماليات

ومن أهم وظائف المال أن يسخر في تفریح الضوائق وسد حاجات الناس المساسة وضروراتهم اللازمة ، وأي مصرف للمال مع وجود هذه الأبواب

الحقة فهو مصرف باطل . وحيث يوجد الجوع والعري فإن العمل الأول للمال هو إذهاب هذه الآفات الإنسانية . . أما أن تبقى هذه الرزايا المخرجة وينفق المال في الشؤون الكمالية والمظاهر الثانوية لنفر من الأمة فلا . . !! وإذا كان الإسراف في وجوه الحلال لا يُعدُّ كرمًا في هذا الدين فكيف بالتبذير الأعمى في وجوه الضلال ومنازع الشهوات ؟ ولو روقب ما ينفق في هذه النواحي الباطلة لوجد أن عشره يتم بعض المشروعات التي لا بد منها لعلاج المستوى الإنساني المنحط عندنا .

*ملاحظة  
من  
مجلس  
العلماء  
بمصر  
في  
المرحلة  
الثانية  
من  
الكتاب  
الذي  
هو  
موضوع  
هذا  
الكتاب*

وقد كان عمر بن عبد العزيز يدرك هذه الحقيقة جيداً . بلغه أن بعض أولاده اتخذ خاتماً واشترى له فصاً بألف درهم فكتب إليه : أما بعد فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فبعه وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتماً من حديد واكتب عليه « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

وهذه الخطة التي سلكها عمر تتفق كل الاتفاق مع الخطة التي سلكها رسول الله مع أهل بيته فقد دخل على فاطمة وقد نزع من عنقها سلسلة من ذهب تريها لامرأة أخرى وهي تقول لها هذه أهداها أبو حسن ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس ابنة رسول الله في يدها سلسلة من نار ! ثم خرج فلم يقعد ، فأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها واشترت بثمانها عبداً فأعتقته ! فحدث رسول الله بذلك فقال : الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار .

*سلسلة  
من  
الذهب  
والتي  
كانت  
على  
عنقها  
من  
الرسول  
صلى  
الله  
عليه  
وسلم*

ومع أن تحلى النساء بالذهب والحريز لا بأس به إلا أن ذلك لا موضع له وفي الأمة من يطلب الضرورات فلا يجدها . . وفي عهد عمر ظل الخليفة العادل يتبع حاجات الناس حتى سدها فلما حرر الناس من ذل الفقر بدأ يجرهم من ذل العبودية . قال يحيى بن سعيد بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فافتضيتها ، وطلبت فقراء نعلها لهم فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد

|| كة

م

من يأخذها منهم ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، قال : فاشترت بها رقاباً فأعتقتهم !!!

هذا هو الإسلام الذي تسعد الشعوب في ظله عند ما يقيض له القدر حكماً أمناء والويل للدين والدنيا من الولاة السفهاء . والحقيقة أن طبيعة الإسلام المشرقة دخلت في صراع عنيف مع طبيعة العصور المظلمة وطبيعة الرجال الأنانيين الذين عاشوا فيها . فإذا انتصر الدين حيناً سجل التاريخ له صفات بيضا بما تضمنت من عدالة ومساواة وإخاء . وإذا انتصرت طبيعة القرون لم تجد إلا ظلالاً سوداً للبغي والعدوان والفساد . وعند ما كان العهد قريباً من فجر النبوة كان الخير واضحاً والحق ناصعاً ، ثم جاءت أيام انطقت فيها سحب الشهوات وملاأت الآفاق بغيوم حجبت عن الناس الضحوة الكبرى . ثم . . ما أسرع ما جاء الليل وفي الليل تظهر الأشباح وتنطلق المرردة وتولد الأساطير . وكان من الأساطير التي راجت عن الإسلام إن الدين الذي يدعو للأخوة العامة أصبح حملته يتعصبون لقبيلة من القبائل أو جنس من الأجناس ، وأن الدين الذي يقوم على الاشتراكية العامة أصبح القوام عليه ميثاق من المترفين والعاطلين الذين لا يمكن لهم هذا الدين إلا البغض والاحتقار . قال سائح أمريكي : لقد عرفت الحال عندكم لما شاهدت ريفكم ونظام بيوتكم فيه ، فقيل له وكيف ؟ قال : قصر واحد مشيد ، وأكوخ مبعثرة مهدمة ؛ إن لهذا دلالة الصارخة . ومن عجب أن تكون هذه الصورة المزرية صورة الأنانية المتفردة والجماعة البائسة المنكوذة هي الصورة التي يراد أن تسود في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وأن يكون ذلك في حماية من الدين ذي المناهج الاشتراكية التي لا يشكرها ذو عينين . . .

(٤)

الفقه الاسلامى  
يساير التطور الاقتصادى

UNIVERSITY OF CAIRO  
ADMINISTRATIVE DEPARTMENT

## لا شيوعية في الإسلام

أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر هذه الفتوى  
المخطيرة نثبتها هنا ، مع تعليق لنا عليها تدعو  
إليه ملابس الحالة العامة عندنا .

« إن من مبادئ الدين الإسلامي احترام الملكية ، وأن لكل امرئ أن يتخذ من الوسائل والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته ما يحبه ويستطيعه ويتملك بهذه السبل ما يشاء .

هذا وقد ذهب جمهور الصحابة وغيرهم من الفقهاء المجتهدين إلى أنه لا يجب في مال الأغنياء إلا ما أوجبه الله من الزكاة والحراج والنفقات الواجبة بسبب الزوجة أو القرابة وما يكون لعوارض مؤقتة وأسباب خاصة كإغاثة مالهوف وإطعام جائع مضطر ، وكالكفارات وما يتخذ من العدة للدفاع عن الأوطان وحفظ النظام إذا كان مافي بيت مال المسلمين لا يكفي لهذا .

وكسائر المصالح العامة المشروعة كما هو مفصل في كتب التفسير وشروح السنة وكتب الفقه الإسلامي .

هذا هو الواجب . غير أن الإسلام يدعو كل قادر من المسلمين أن يتطوع بما شاء من ماله يصرفه في وجوه البر والخير مع عدم الإسراف والتبذير في ذلك كما قال الله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » وكما قال عز وجل في وصف عباده الذين أتى عليهم : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » وكما يدل عليه السنة في أحاديث كثيرة .

Texte de la fin



وذهب أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إلى أنه يجب على كل شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من أي مال مجموع عنده - في سبيل الله - أي في البر والخير ، وأنه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله . هذا هو مذهب أبي ذر ، ولا يعلم أن أحداً من الصحابة وافقه عليه . وقد تكفل كثير من علماء المسلمين برد مذهبه ، وتصويب ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين بما لا مجال للشك معه في أن أبا ذر رضي الله عنه مخطئ في هذا الرأي . والحق أن هذا مذهب غريب من صحابي جليل كأبي ذر ، وذلك لبعده عن مبادئ الإسلام وعمما هو الحق الظاهر الواضح . ولذلك استنكره الناس في زمنه واستغربوه منه . قال الألويسي في تفسيره بعد ما بين مذهبه مانصه : « وكثر المعترضون على أبي ذر في دعواه تلك ، وكان الناس يقرءون له آية المواريث ويقولون لو وجب إنفاق كل المال لم يكن للآية وجه . وكانوا يجتمعون عليه مرزوحين حيث حل مستغربين منه ذلك » اهـ

ومن هذا يتبين أن هذا الرأي خطأ وصاحبه مجتهد مخطئ مغفور له خطؤه بل مأجور على اجتهاده ، ولكنه لا يتابع فيما أخطأ فيه بعد أن تبين أنه خطأ لا يتفق وما يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله وقواعد الدين الإسلامي . ولما كان مذهبه داعياً إلى الإخلال بالنظام والفتنة بين الناس طلب معاوية والي الشام من الخليفة عثمان رضي الله عنه أن يستدعيه إلى المدينة - وكان أبو ذر وقتئذ في الشام - فاستدعاه الخليفة ، فأخذ أبو ذر يقرر مذهبه ويفتي به ويذيعه بين الناس ، فطلب منه عثمان أن يقيم بجهة بعيدة عن الناس ، فأقام « بالرعدة » ( مكان بين مكة والمدينة ) . قال ابن كثير في تفسيره : كان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال . وكان يفتي بذلك ويحثهم عليه ويأمرهم به ويغافظ في خلافه ، فتهام

معاوية فلم ينته فحشى أن يضر بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين  
عثمان وأن يأخذه إليه . فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأزله بالر بذة وحده ، وبها  
مات رضى الله عنه في خلافة عثمان .

وجاء في فتح الباري للحافظ ابن حجر ما خلاصته : « إن دفع المفسدة  
مقدم على جاب المصلحة . ولذلك أمر عثمان أبا ذر أن يقيم بالر بذة مع أن  
في بقاءه بالمدينة مصلحة كبيرة لطالبي العلم ، لما في بقاءه بالمدينة من مفسدة  
تترتب على نشر مذهبه » .

قرأت هذه الفتوى ، ورأيت أن أقف لديها طويلاً ، فإن ما بها من  
أحكام علمية يحتاج إلى شرح يمنع عنه التأويل المغرض ، شرح يقي الإسلام  
ظنون ادعاء العدل الاجتماعى ، ويقلق طواغيت المال من أرباب الضياع  
وأصحاب الإقطاع .

... إن هذه الفتوى صورة صادقة للتفكير الذى يسود الشرق الإسلامى  
منذ قرون ، وهو تفكير يحتضنه الأزهر والمدارس الإسلامية الأخرى ، وتكاد  
الجماعات الشعبية العاملة للإسلام لاتعدو حدوده ، ولا تبعد عنه إلا ريثما تعود  
إليه ، وهذا التفكير يعتمد على فهم معين لنصوص الإسلام وقواعده العامة .  
ولا عيب فى الفهم ، ولا فى إصدار الفتوى على أساسه ، لو أن الحالة عندنا تشبه  
الحالة فى الولايات المتحدة مثلاً حيث رهوس الأموال النامية فى اطراد إلى  
جانب الجماهير المستمتعة بأكل الحقوق وأطيب المعاش ، وحيث لاتجد  
الشيوعية معوقاً مصطنعاً أمامها . ومع ذلك قلما تجد من يقبلها أو يقبل عليها .  
لكن الحالة فى الشرق الإسلامى تناقض فى أساسها وفى ملاساتها أحوال  
الولايات المتحدة . ومن هنا جاز لنا القول بأن هذه الفتوى قد لاتحتاج إلى  
تعقيب فى وصفها الإسلام بأنه نظام « رأسمالى » إذا ترجمت فى هذه السنين



المسألة  
المسألة  
المسألة

إلى أهل أمريكا . أما إرسالها على هذا النحو إلى شعوب الشرق المستضعفة  
وإلى أهل البلاد المغلوبة على أمورها وأرزاقها فإنه يحتاج إلى تعقيب طويل .  
وهذا ما سنقوم به إن شاء الله .

والعالم المسلم يشعر بحرج بالغ عند ما يخط حرفاً في هذا الموضوع . فإن كلمات  
« شيوعية » و « رأسمالية » و « تعاونية » . الخ كلمات جديدة بما ترمز إليه  
من نظم وأبجاءات . وعند ما تقارن بين ما جاء به الإسلام من تعاليم وبين  
ما استحدثته هذه المبادئ من أفكار وقوانين نجد أننا أمام معضلات شائكة  
فإن الإسلام كدين يرفض الشيوعية رفضاً باتاً ، كفلسفة مادية وفكرة ملحدة  
ثم ينظر بعد ذلك إلى ثمراتها الاقتصادية ليسمع منها ما يشاء على حسب قربها  
أو بعدها من منهجه الخاص .

والإسلام كذلك يرفض الرأسمالية رفضاً باتاً كآفة اجتماعية وظاهرة  
مفسدة ، ثم ينظر إلى ثمراتها الاقتصادية نظرة فاحصة ، فيقبل منها ما يشاء  
ويدع منها ما يشاء .

غير أن الشيوعية والرأسمالية وغيرها من المذاهب تعرض نفسها كلاً  
لا يتجزأ ، وأصحاب هذه المذاهب يريدون فرضها على الناس بما فيها  
من خير وشر . ونريد نحن أن نقبس من نتاج الفكر الإنساني ما يمشی طبعاً  
في ضوء الوحي الإلهي .

وأن نخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . وعلى هذا المنهج  
سنناقش مبدأ الملكية في الإسلام .

استدراك = *defusion d'Abou Han*  
*l'accretion & cons =*

أما الكلام في الناحية الاقتصادية من حياة أبي ذر ، فقد مرّ بك آنفاً *il n'est pas*  
*la a relati...*  
*ni mesur...*  
*d'instaurer*  
*il ne def...*  
*la prop...*  
*et a acc...*  
*la ...*  
*si ...*  
*est ...*  
*avec ...*  
*cons :*

بالشيعوية ثم الاعتذار عنه بأنه اجتهد فأخطأ قول بجانب للصواب .  
إن كانت الشيوعية تعني جحد الدين والكفر بالله والمرسلين فليس الرجل  
شيوعياً . وإن كانت تعني إنكار حق التملك والتوارث فليس شيوعياً .

وإن كانت تعني التأثير بأفكار غريبة على الفقه الإسلامي نزحت إلى أرض  
الجزيرة من فارس أو من غيرها فليس شيوعياً . وكل ما قيل من اتخاذ  
أبي ذر بدعوة عبد الله بن سبأ فمحض كذب . ولقد أثبت التمهيص التاريخي  
أن أبا ذر مات قبل أن يلتقي عبد الله هذا . فأتى له التأثير به ؟

إن الذين يصفون أبا ذر بالشيوعية يريدون إيهاهم الناس أن النعمة على  
المكنتزين ، والعطف على المظلومين ، ونقد طوائف الحكام من المستغلين  
والمترفين . هذه كلها فضائل لا تنبجس من تبع الإسلام الخفيف ، ولكنها  
أعراض شيوعية كامنة أو سافرة تجعل صاحبها موضع اتهام ، ومثار لجاجة  
وخصام ! . وقديما ضاق شاعر بهذا العبث في تصوير الحقائق فقال :

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي ١١

ما ذنب أبي ذر ، عند ما عرض بالحالة الاجتماعية المختلفة ؟ اعتقلوه ! ولم ؟  
لأنه لما كان بالشام طالب أن يعيش المسلمون حكومة وشعباً على النحو الذي  
كانوا عليه في صدر الخلافة ، فكان إذا صلى الناس الجمعة وأخذوا في مناقب  
الشيخين — أبي بكر وعمر — يقول : « لورأيتم ما أحدثوا بعدهما ، شيدوا  
البناء ، ولبسوا الناعم ، وركبوا الخيل ، وأكلوا الطيبات » .

وأنت خبير بأن الإسلام لا يحرم هذا ، وإنما استنكره أبو ذرّ لأنه من بيت مال المسلمين ، وليس للحاكم في الإسلام أن يستغل مال الأمة في متعه وملذاته ، ولا أن يجعل له خاصة من وسائل التشبع ومظاهر الترف ما يميز به تميزاً فاضحاً على سواد الناس ، وخصوصاً في البيئة الخشنة والمجتمع المحروم . .

رَوَى عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأشدهم حياءً عثمان ، وأقضاهم علي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت وأقروهم أنى بن كعب . ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة ابن الجراح .

وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرّ . أشبهه عيسى عليه السلام في ورعه .

سند صحيح  
في صحيح البخاري  
والموطأ  
والمستدرک  
والمعجم  
والمجموع  
والمفرد  
والمختار  
والمعجم الكبير  
والمعجم الصغير  
والمعجم الوسيط  
والمعجم المشتمل  
والمعجم المشتمل على  
السير والفتاوى  
والمعجم المشتمل على  
السير والفتاوى  
والمعجم المشتمل على  
السير والفتاوى

فقال عمر : أنعرف ذلك له ؟ قال نعم فاعرفوه له .

أهذا هو الرجل الذي يُخشى منه إفساد المجتمع الإسلامي ؟ فمن إذا المصلحون الأمناء ؟ .

ولأبي ذرّ هنا موقف ينبغي أن يذكر ، فعند ما صدر إليه الأمر بالتوجه إلى المدينة لم يذهب إليها ليحدث شغباً ثورياً ضد الحكم القائم — كما هو منطلق الشيوعية في إثارة حرب الطبقات — برغم أنه لما دخل المدينة تجمع الناس حوله كأنهم لم يروه قبل ذلك مؤيدين لا معارضين ! بل قال في منقاه : « لو أمراً على عبداً حبشياً سمعت وأطعت » .

سند صحيح  
في صحيح البخاري  
والموطأ  
والمستدرک  
والمعجم  
والمجموع  
والمفرد  
والمختار  
والمعجم الكبير  
والمعجم الصغير  
والمعجم الوسيط  
والمعجم المشتمل  
والمعجم المشتمل على  
السير والفتاوى  
والمعجم المشتمل على  
السير والفتاوى  
والمعجم المشتمل على  
السير والفتاوى

أفهذا المنطق البعيد عن تيار الفتنة ومظان الاستغلال هو الذي يسوغ اتهم أبي ذرّ بالشيوعية ؟ .

## مبدأ الملكية بين التقييد والإطلاق

لا جدال في أن للإنسان حق التملك ، اعترفت بذلك رسالات السماء وقوانين الأرض جميعا ، وحب التملك غريزة يمدّها علماء النفس من قواعد السلوك البشرى كسائر الغرائز الأخرى المعترف بها من جنسية واجتماعية وبدنية ، وغرائز الإنسان لا تستأصل استئصالا وإنما تحوّر آثارها العملية في الشكل الذي يرضاه الشرع والقانون . ومن ثم فقد أباح الدين للإنسان أن يملك ، لكن عن طرق معينة لا يجوز تخطيها ، وأباحت النظم الوضعية للمرء أن يملك ، فتلك غريزته التي لا يمكن وقفها ألبتة ، ثم اختلفت كيف يملك . وقم ؟ فقالت الشيوعية : لا يملك إلا دخله الذي يستحقه من عمله ، أو ما يدخره من هذا الدخل المحدود ، أو ما يستهلكه في اقتناء حاجاته الشخصية ، ورفضت أنواع التملك الشخصية الأخرى .

أما الرأسمالية فقد تركت حرية التملك مطلقة ولم تضع إلا قيوداً خفيفة على طرائق الكسب ، ولم تضع حداً معيناً للثروات المكتسبة ، ولم تعرقل تداولها بالمواريث كما فعلت الشيوعية . والإسلام يعترف بمبدأ الملكية ، ويضعه تحت الوصاية الدقيقة من تعاليمه المقررة في قواعده العامة ونصوصه الخاصة فهو يطلقه إن كانت المصلحة العامة تقضى بإطلاقه ، ويقيده إن كان الأمر على العكس ، وفي كلتا الحالتين فالإسلام واضح في رفضه لكل تملك باطل ، وهو يسأل كل مالك من أين لك هذا ؟ ليعرف أهو حق فيبقيه له أو . . . لا فيسلبه منه : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلّوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

ولو طبل مبدأ من أين لك هذا على الأملاك الكبيرة القائمة في ربوع

720

721



لما علم بشئون دنياكم  
وهذه المحاولة لإخراج المسألة من  
الدائرة التي يحكم فيها الدين لا فائدة منها ولا مسوغ لها . ولعل الدافع لها  
لظوف من أن تقف أحكام الدين حجرة عثرة في طريق التقدم الاجتماعي ،  
وسير الحضارة إلى الأمام . وهذا التخوف لا موضع له قط بالنسبة إلى الإسلام  
ففي قواعد هذا الدين من السعة والرونة ما يشفي ويريح . ولو توجه العقلاء  
والمصلحون إلى الإسلام يحكمونه فما شَجَرَ بينهم ، لوصلوا إلى أهدافهم في يسر ،  
ولمزقوا ما على الحقيقة من حجاب ، وما أخفى وجهها الوضاح من نقاب ، فإن  
الدين في كافة الأحوال ضرورة اجتماعية وإن كان رجاله في أغلب الأحوال  
آفة اجتماعية :

وقد وكل إلينا الدين هذا الحق فلا معنى للتخلي عنه . ويستدلون بالحديث  
الكريم : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » وهذه المحاولة لإخراج المسألة من  
الدائرة التي يحكم فيها الدين لا فائدة منها ولا مسوغ لها . ولعل الدافع لها  
لظوف من أن تقف أحكام الدين حجرة عثرة في طريق التقدم الاجتماعي ،  
وسير الحضارة إلى الأمام . وهذا التخوف لا موضع له قط بالنسبة إلى الإسلام  
ففي قواعد هذا الدين من السعة والرونة ما يشفي ويريح . ولو توجه العقلاء  
والمصلحون إلى الإسلام يحكمونه فما شَجَرَ بينهم ، لوصلوا إلى أهدافهم في يسر ،  
ولمزقوا ما على الحقيقة من حجاب ، وما أخفى وجهها الوضاح من نقاب ، فإن  
الدين في كافة الأحوال ضرورة اجتماعية وإن كان رجاله في أغلب الأحوال  
آفة اجتماعية :

وما أفسد الإسلام إلا عصابة تأمر حقاها ودام نعيمها  
فصارت قناة الدين في كف ظالم إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

\*\*\*

در  
F. A. H.

وإليك طائفة من القواعد التي تأسس عليها الفقه الإسلامي واستخلصت  
من الكتاب والسنة ، ولم يثر حولها نزاع ، وسنعرض مبدأ الملكية على هذه  
القواعد لتقول فيه كلمتها الحاسمة .

- ( ١ ) رفع الضرر .
- ( ٢ ) منع الحرج .
- ( ٣ ) سد الذرائع .
- ( ٤ ) دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح .
- ( ٥ ) الضرورات تبيح المحظورات .
- ( ٦ ) يرتكب أخف الضررين .
- ( ٧ ) ما قارب الشيء يعطى حكمه .
- ( ٨ ) للأكثر حكم الكل .
- ( ٩ ) ما أدى إلى الحرام فهو حرام .
- ( ١٠ ) ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .









La zakat  
ne vient pas  
des malades  
elle ne vient pas  
des riches  
elle ne vient pas  
des pauvres  
elle ne vient pas  
des riches  
elle ne vient pas  
des pauvres

## أفي المال حق غير الزكاة؟

من الدلائل التي سقناها آنفاً تعرف أن الإسلام يقر مبدأ تقييد الملكية ولا يرى بأساً في استخدامه لعلاج الاضطراب الاقتصادي الذي شاع في مصر وغيرها من أقطار الشرق الإسلامي.

لكن دعاة الرأسمالية لا يعدمون نصاً يتعلقون بظاهرة ثم يبنون عليه ترك الأموال طليقة مهما نشأ عن تضخمها من أخطار ومهما لابس هذا التضخم من أحوال مريضة تبدأ من بذرتها التي تكون منها وتنتهي إلى مصارفه التي يقع فيها. وهي أحوال من السفه عدم تعرف رأى الدين فيها.

وأول حجة لهؤلاء أن المال مادام خرجت منه زكاته فقد فرغ منه حق الله، وطاب منه ما بقي لصاحبه ولو كان أوف الأقدنة وملايين الجنينيات، ويستدلون على هذا بالآية «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وبالحدِيث «كل ما أديت زكاته فليس بكبتر».

ولا شك أن هذا الدليل هو الصورة السائدة للتفكير الشرعي في هذه الأيام وسنرى مبلغ قرب هذا التفكير أو بعده من حقيقة الإسلام الحنيف.

نبدأ أولاً فنقول إن إخراج الزكاة عن الإقطاعات الزراعية وما تكوّن على غرارها من الشركات المالية لا قيمة له، فقد جاء في الحديث «من اكتسب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك كله فقدف به في جهنم»! وجاء في حديث آخر «ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء»

ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث .

ومن هذه الإرشادات النبوية تدرك أن المال الذي يصح إخراج الزكاة عنه هو المال الحلال ، أما الحرام فلا رأى للدين فيه ، إلا أن يُرد لأصحابه ومستحقه . وقد ذكرنا أن أكثر الأملاك التي غنمها أثرياء المسلمين في هذه الأعصار لا تعتمد في حرثومتها ولا في نمائها على قواعد الشرع السليم ! فما غناء الزكاة في هذه الحال ؟ إذا سرق رجل تفتيشاً من أموال المسلمين أيكفيه لكي يستحله أن يطعم منه بعض المساكين ؟ أو إذا بنى رجل قصرأ من دماء العمال والأجراء استطاع أن يأمن جانب الدين باستئجار بعض « الفقهاء » يقرءون في جوانبه ما تيسر من آيات الذكر الحكيم ؟ .

إن هذا في الحقيقة ليس إلا مثلاً للرجل الذي تصطنعه الرأسمالية في استغلال الأديان وتزوير الفتوى باسمها ؟ ! .

• هذه مقدمة — لها خطرها — في نقاشنا للحجج التي يتمسك بها دعاة الرأسمالية لإطلاق الملكيات . أما الموضوع نفسه فليس صحيحاً ما يقولون من أن الزكاة هي كل حق الله في المال ، فإن حقاً بل حقوقاً أخرى في المال عدا أنصبة الزكاة المعروفة في النقود والزررع والمعادن والحيوانات .

والأصل في هذا أن الإسلام يبغي محاربة الفقر واستئصال أسبابه ويرصد لهذا الغرض ما يطلبه من أموال ويتحمل ما يفرضه من نفقات قلت أو كثرت .

وقد روى علي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض على

أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا اجاعوا وغرروا إلا بما يصنع أغنيائهم ؛ ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً » ! .

*celle certainement  
par une charité et  
sans aucune  
obligation  
de sa part !*

### أنصبة الزكاة حد أدنى

وقد أبتنا في موضع آخر أن أنصبة الزكاة ليست إلا حداً أدنى لما يجب إخراجها ، وقد روى البخارى هذا الحديث نقطف لك بعضه لتدرك منه هذه الحقيقة المقررة في الإسلام : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها — ومن حقها حلبها يوم وردها — إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر ( أرض مستوية ) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ! »

فهذا الحديث يجعل توزيع ألبان الإبل على المحتاجين ، من حقها الذي يحاسب المرء عليه شرعاً هذا الحساب الغليظ . بينا النصاب المقرر في كتب الفقه عن زكاة الإبل ، في الخمس شاة وفي العشر شاتان ، الخ ، كل عام فقط ! والترهيب الذي تضمنه هذا الحديث يخرج أمر التصديق بالألبان عن معنى التطوع الذي يقوم به ذوو المروءات والمكارم ، والذي يفتى به قوم ليسوا من الراسخين في العلم على أساس أن كل ما زاد عن النصاب المقدر فهو تطوع ، وما جاء في هذا الحديث إنما يمشى في ضوء الآية الكريمة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال — على حبه — ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ... » وهذه الآية تنص على أن في المال حقوقاً أخرى غير الزكاة وقد جاءت هذه الحقوق في الآية الكريمة متقدمة على الزكاة نفسها وسياق الآية من الصدر إلى الختام يشير إلى أنها تعرض لأعمال الإسلام الهامة ،

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

LIBRARY

الأعمال المعتبرة ركناً في هذا الدين ، إذ أنها في صدد مناقشة أهل الكتاب  
تشرح حقيقة البر الصحيح وآثار اليقين الحق عند الأبرار الموقنين ولذلك  
ختمت بهذا التذييل « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

على أنك ستري من المسلمين في فترات نكوصهم عن أعباء الجهاد من  
يعتبر الصبر في البأساء والضراء وحين البأس تطوعاً ، وبذلك يوضع أساس  
الانهزام السياسي لهذه الأمة ، ومن يرى إيتاء الأموال لليتامى والمساكين  
تطوعاً كذلك ، فيضع أساس الاضطراب الاجتماعي الذي جعل هذه البلاد  
مضرب الأمثال في تحلل العرى وتقطع الصلات ! إن الإسلام حكم حكماً  
فريداً في بابه في بعض الأحوال العارضة للناس ، ولكنك تشتم منها نزعة  
الإسلام في توسيع نطاق الحقوق الواجبة في الأموال توسيعاً يثير الدهشة .

ففي أمور الضيافة مثلاً يبيح الإسلام للضيف أن يأخذ حقه قسراً إن لم  
يقدم له كرمًا . ! وفي ذلك يقول الرسول : « أيما ضيف نزل بقوم فأصبح  
الضيف محروماً فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه » بل إن الناس مكلفون  
بإعانة الضيف على أخذ حقه بالقوة من مضيفيه البخلاء ! كما جاء في حديث  
آخر « أيما رجل أضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً فإن نصره حق على كل  
مسلم حتى يأخذ بقري ليلته من زرعه وماله » فانظر إلى أي حد يوسع الإسلام  
حقوق المجتمع في أموال الأغنياء !

سلك على مسرعة  
سلك على مسرعة  
سلك على مسرعة  
سلك على مسرعة  
سلك على مسرعة  
سلك على مسرعة

### على ضوء الفقه

واستنباط حكم ما من أحكام الإسلام ليس سبيله أن نعثر على نص من  
النصوص فنطير به ونبنى عليه القصور . كلا . فلا بد لتقرير حكم ما أن ترجع  
إلى جمع النصوص التي وردت في موضوعه وأن نفهم روح الإسلام العامة

CAIRO

التي يصدر عنها قوانينه وأن ندرك أسرار التشريع وحكمه التي يناط التشريع  
بمقائمه، ثم لنا بعدئذ أن نقارن وأن نرجح عند تعارض الأدلة ما ينفذ في  
أذهاننا ترجيحه وعلى هذا النهج سار أئمة الفقه الإسلامي الأولون فنجحوا أيما  
نجاح في إخضاع المعاملات الكثيرة لأصول الإسلام وفروعه .

لقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع يديه قبل  
الركوع وبعده وصح ذلك عن طريق اثنين وعشرين صحابياً ومع ذلك لم ير  
الأحناف ولا المالكية استحباب ذلك لأدلة أخرى ترجحت لديهم ولم ير  
العلماء في هذا الاختلاف منار قدح في تفكير ولا احتقار لرأى أفترى لو أن  
هؤلاء الاثنين وعشرين صحابياً رووا عن رسول الله أن لا بأس بإطلاق  
الملكيات دون حد تقف عنده ثم وجدنا من دلائل الإسلام الأخرى المعتمدة  
على كلام الله وسنة رسوله ما يجعلنا نقيّد الملكيات ونضع لها حداً أفيكون  
ذلك فقهاً غير إسلامي ورأياً غير ديني؟ اللهم لا — لو خلصت القلوب وصحت  
العقول! ولقد ذكر القرآن الكريم أن المؤلفة قلوبهم مصرف من مصارف  
الزكاة ثم جاء من الصحابة والأئمة من رأى أن هذا السهم موقوف بحكمة  
معينة ومنع هؤلاء المؤلفة حظهم من الزكاة فهل كان ذلك خروجاً على تعاليم  
القرآن؟ لا ولكنه البصر الدقيق بحكمة التشريع وأهدافه العظمى وهو ما نريد  
أن يفهمه الباحثون في منهج هذا الدين العظيم وينزلوا على حكمه!

ومسألة تقيّد الملكيات لا تهدم نصاً ولا تعطل قاعدة بل هي في الحقيقة  
عون فعال لتنفيذ النصوص التي جاء بها الإسلام وتدعيم للقواعد التي بنى عليها  
فقيه العريق وآفة المسلمين في أحيان كثيرة أنهم يتصورون الأمور تصويراً  
ساذجاً، فالصورة الأولى للإحسان — بل لعلها الصورة القريبة — أن  
تدخل يد في جيب فتخرج مبلغاً ما وتضعه في يد ممتدة تنتظر العطاء! وهذا

عن  
Dawaini

الفهم السائد للإحسان لم يذهب فقراً ولم يحارب عيلة بل جعل الإحسان في بلادنا فوضى مؤسفة ، وهذا الأسلوب من الإحسان ينتظر أن يقع الفقر ثم هو بعدئذ يعالجه أى أنه يترك البؤس يخط مجراه في الحياة عميقا بعيداً ثم تتجه الجهود بعد ذلك إلى ردمه .

ومثل ذلك أن نملاً شواطئ النيل بقواقع البلهارسيا وديدانها ونسوق الأقدام الحافية سوقاً إلى دوسها والعمل في مباحثها وبعد ذلك ترصد الألوف المؤلفة لمحاربة الأمراض المتوطنة ؟ .

لقد قالوا إن الوقاية خير من العلاج فهل الإسلام هو الذى يمنع الأمم أن تقي نفسها ضراوة الفقر وعض أنيابها المسمومة لبنيها ؟ .

هل الإسلام هو الذى يصرف الأمم عن ابتكار الأنظمة والقيود الاقتصادية التى تقتل الفقر قبل أن يولد ، وتشد جنينه قبل أن يبرز إلى الحياة ثم يتحول على مر الليالى مارجاً من نار ؟ .

إن الإسلام لا يمنع الأمم أن تصون مصالحها ، ورحم الله أئمة الإسلام الأولين وخلفاءه الراشدين ، فقد فعلوا في الأعصار الأولى ما لم يره المسلمون في أعصارهم الأخيرة من حكاهم السادرين :

وهذا الكلام كله إما يدور محوره على أساس أن جمهور المسلمين يعيش في بلاد مطمئنة ، تسالم غيرها وتسالمها غيرها ، ولا موضع في تاريخها لحرب ، ولا مكان في رسالتها لجهاد .

في هذه الأحوال ، يحلو للبعض أن يسأل هل في المال حق بعد الزكاة أم لا ؟ .  
لسكن هل صحيح أن المسلمين يعيشون في هذا السلام المأمول ، وأن بلادهم آمنة فليس يلوح في أفقها نذير حروب لا آخر لها ، أم أنهم عزل في هذه الحياة المتقلبة على فم بركان ؟ . اللهم لا سلام ولا استقرار فتلك مزاعم الحق .

لكن

CAIRO

والتواضع والاعتدال  
في كل شيء  
والتواضع والاعتدال  
في كل شيء  
والتواضع والاعتدال  
في كل شيء

وعند التلويح بالحرب وخطر الحرب ترتفع عن الأملاك كبرها وصغرها  
أيدي أصحابها ، وتتولى الدولة إنفاق آخر مليم لديها ولدى الشعب في الدفاع  
المقدس عن البلاد .

والإسلام في هذه الأحوال يفرض تقديم النفس لتجرح أو تقتل ،  
ويفرض تقديم الأموال لتنقص أو تستأصل : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم  
في سبيل الله ، ذاكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وهذه الفترة السكتيبة من فترات التاريخ الإسلامي تبيح للدولة المسامحة  
أن تصنع بالنفوس والأموال ما تشاء ، وأن تستنفد في هذا الغرض جميع  
ثروات الأغنياء .

### أغنيائونا في ميزان الرجولة

لعل تشريعاً — إذا صدر — لن يكون أبرك نتائج وأعمق آثاراً من  
تقييد التملك والتحكم في أسبابه على مقتضيات المصلحة العامة . . . وما أحسب  
الإسلام يصيب لمبادئه نصراً ، أو يسكسب لاتباعه خيراً ، أو يمهّد لرسائله  
مستقبلاً ، أو يمسح عن حقيقته شُبهاً إلا بسن هذا القانون وتطبيقه في أوسع  
دائرة وسحب آثاره على الماضي والحاضر والمستقبل جميعاً .

يومئذ تتقارب طوائف الأمة وتمحى الفروق المريبة بين بنينا ، وتتحقق  
الأخوة الصادقة التي يدعو إليها الإسلام وتسقط العصبية الثرية المتسلطة على  
الريف والمدن ، وتولد الأجيال الجديدة وهي لا تعرف تمايزاً إلا بالعمل ولافاضلاً  
إلا بالتقوى . ويومئذ يرى الإسلام أن المنتهين إليه يحملون واجباتهم على سواء  
ويأكلون ثمرات جهودهم غير منقوصة ، ويتقاسمون المغام والمغارم على أسلوب  
لا وكرس فيه ولا شطط ، ويدينون بالسيادة لرب السموات والأرض وحده

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY



apud  
pro con de  
muntibus  
fratris

بعد أن سقطت ربوبية أصحاب الأقطاع وجبارة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة « أرباب متفرقون خير؟ أم الله الواحد القهار؟ » .

وإنما ينجح الإسلام إلى هذا المسلك لطبيعة البلاد التي استقر فيها وأحوال الملاك الذين يسكنونها فإن أغنياء المسلمين — للأسف العميق — إذا قورنوا بأغنياء البلاد الأخرى يعتبرون أخس أغنياء العالم ، ولقد رأينا مسلك أغنياء اليهود وأغنياء الأقباط تجاه قضاياهم القومية والاجتماعية الإنسانية فوجدناهم رجالا يرعون شعوبهم وينصفون أتباعهم وينهضون بالأحمال الثقال التي تلقى عليهم ، أما أغنيائونا فهم أشد الناس إسرافاً في ملذاتهم الشخصية وأشدهم ضناً على شئون الوطن والمجتمع ، وكان واعزاً خفياً يوحى إليهم إنهم جمعوا ثروتهم من باطل فينبغي أن تنفق في مصارف السحت والفجور وحدها . ولذلك قلما تظفر بها نواحي البروجيات الخيرة على طول الانتظار وحرقة الظمأ !

### ندالة . . .

إن الصلة بين صديقين تتعرض لقطيعة باتة لو نزلت بأحدهما مصيبة ، ثم لم يقم الآخر بواجبه تلقاءها . وهؤلاء الأغنياء الذين أثروا من جيوب الشعب وانتفخوا على مسعفته يشاهدون النوائب الطامة تنزل به ، وألوان البأساء والضراء تتساقط عليه فلا تزيدهم هذه الأحزان المترادفة إلا كزازة يد وقسوة قلب وكلما هبطت عليه كارثته رأيت هؤلاء في أبراجهم الساحقة يمتطون شفاههم ويهزون أكتافهم كأن الأمر لا يعينهم في قليل أو كثير . . . فأى مودة تبقى في قلوب الشعب لأولئك الذين سرقوه أولاً . . . وقتلوه أخيراً؟ .

عندما كانت أوبئة الحمى تهز القرى هزاً عنيفاً كما تهز الرياح الهوج

in  
dicit



U leur promettre  
le feu éternel  
(L'Enfer)

لقد كانوا قليلا أولئك الذين يبعثون أموالهم في كل ناحية من نواحي الخير  
كما يطلب الحديث أما الآن فلا نجد منهم أحدا . بل إننا نقرأ الحديث الآخر  
« إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالقطيعة فقتلوا  
وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا . . » نقرأ هذا الحديث المنبئ  
عن مصير المالكين وأوصافهم فلا نجد فيه إلا صورة ناطقة بملامح أغنيائنا  
وأحوالهم حدوك النعل بالنعل ، أفتبعد هذا يمارى في تقييد الملكيات مسلم  
فقيه . . . ؟؟

عنصره لا انساني  
بل انساني (بشرى)  
بل انساني (بشرى)  
بل انساني (بشرى)  
بل انساني (بشرى)

### نتائج . . .

وحول الملكيات المطلقة تتكون عصبيات جاهلية متفطرة تلتف حول  
أملاتها ، لا كما تلتف خيوط الحرير حول دودة القز أو كما تلتف طوائف  
النحل حول خلايا العسل . لا . . . لا . . . بل كما تتجمع الزنابير ذات الحيات  
اللاسعة في أعشاشها المؤذية فلا ينجو الناس منها إلا إذا حرقوها بالنار أو لاذوا  
من وجهها بالفرار . . هذه العصبيات المعترة بأملاتها تحتكر الحكم والجاد في  
أقطار الشرق الإسلامي المضطهد في الداخل والخارج بأفانين المظالم الاجتماعية  
والسياسية . . وقد رأينا أن النظام الديمقراطي قد نقل أخيراً إلينا لكنه لم يلبث  
أن فسد فساداً عريضاً وأصبح حظ البلاد منه صورة ميتة لا روح فيها ولا غناء  
والعلة الأصيلية في ذلك هذه العصبيات التي سطت على الجماهير المتخاذلة الوانية  
وأجبرتها على أن تختار ممثلها في البرلمان من رجال الطبقات العليا وحدهم . . .  
ومن ثم تسابقت الأحزاب على ضم هذه العصبيات إلى جانبها لتضمن نجاح  
مرشحيها في أى انتخاب والانتخابات في مصر وفي أشباهها تدور — مهما  
كانت حرة — على هذه الاعتبارات القاسية . فصاحب الأرض يستولى على

de la part  
pacifique de la  
civilisation  
à la violence  
à la violence  
à la violence

أصوات أجراءه وتنهزم أمامه أعظم كفاية ، ورب المال يستطيع بما يبذل  
للجائعين ويعد المتطاعين أن يكتسح أمامه أفضل الرجال علماً وأدباً . .

### الديمقراطية الحققة

→ la violence  
d'aller  
vers  
la violence  
de l'Etat

ولا ريب أن نجاح النظام الديمقراطي يتطلب تمهيداً واسع النطاق لرفع  
مستوى الأفراد مادياً وعقلياً حتى يمكن حقاً أن يحكم « الشعب بالشعب »  
والسبيل الواحدة لإدراك هذه الغاية سلب العصبية الطاغية أسباب طغيانها  
وتجريدتها من السلاح الفذ الذي تخضع به غيرها . . أى تقييد الملكية . .  
ونحن موقنون أن الشعب يوم يعرف أنه المسئول الأول والأخير عن نوابه  
وحكامه وأنه صاحب الحق المطلق في تولية من شاء وتنحية من يشاء وأنه  
صاحب الفضل في منح هذا وصاحب السلطة في منع هذا — يوم يعرف  
ذلك جيداً فإنه سيستمسك بنظامه الديمقراطية ويسفك دونها دمه  
عن طواعية .

أما أن تختار الأحزاب أى الحكومات نوابها وشيوخها ، ويكون هؤلاء  
من عصبية إقليمية مدعمة ، لها على من حولها دالة وساطان ، فهي التي تحكم  
الشعب ، لا التي يحكمها الشعب ، فعنى ذلك أن نظامنا الديمقراطي صوري  
فحسب . . !

à la part  
de la violence  
de l'Etat  
à la violence  
de l'Etat  
à la violence  
de l'Etat

إن القيم الإنسانية في بلادنا تحتاج إلى من يرد لها احترامها ، حتى لا نرى  
المواهب الكريمة تدفن وتذوب ، لأنها نبتت في بيئات فقيرة ، وحتى لا نرى  
أصفاراً يتحولون بين عشية وضحاها عمالقة كبارا ، لأنهم انحدروا من أسر  
متنبلة واسعة الثراء .

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

La parole d'Allah  
est parvenue à un point  
où la grande complicité  
est la volonté de  
et

## نظام واجب

ولماذا لا تكون الحياة كالمعسكر النشط تتفاوت رتب رجاله بما أوتوا  
من كفايات وفنون ، ولا يبقى أحد في رتبته إلا ريثما يترشح لأعلى منها ،  
ولا تكون رتبة حقاً لصاحبها إلا إذا كان كفاً لها ، فإذا بدر منه ما لا يليق  
به أنزل عنها إلى ما دونها ... وإذا جدّ الجدّ وصرخ النفير اشترك أفراد الجيش  
كافة في القتال فتسقط جثة الضابط إلى جانب جثة الجندي ويواريهما جميعاً  
نرى واحد .

إن كفة الفضائل شالت في كثير من مجتمعات الشرق ، واستبدت الخطأ  
بأفكار الناس في نظرتهم إلى وسائل الرقي والهبوط ، فسرت القوضى في ميادين  
السلام وعزت النتائج السليمة في ظل إقطاعيات ضخمة . كل شيء حولها مانع  
رجراج لاقرار فيه إلا المساديات المحضة وما يتولد منها وما يرجع إليها .

ولقد تمخضت أحوال الشرق الإسلامي عن أحداث مخزية كشف عنها  
الصراع الذي دار أخيراً بين العرب واليهود ، فإن الاستعداد الحربي القوي  
الذي ظهر به اليهود تسنده من خلفه حياة اشترى كية منظمة دقيقة فلا يفقد  
الولد أباه حتى تُكفل حياة اليتيم كفالة تصون مستقبله عن التشرذم ، وحتى  
تُكفل حياة الأيم كفالة تصون مستقبلها عن العبث . أما يتامى المجاهدين  
وأراملهم فوا أسفاه .. ما أشقى وحدثهم ، وأقسى لياليتهم .. أهذا ما يأمر به

الإسلام ؟ . إن هذا الدين لما أوجب الجهاد واستنفر الرجال الشجعان ليدفعوا  
عن دينهم ووطنهم لم يدع الأمور تسير في أزمته هذا السير الأحق الظلوم .

فمن أبي سعيد الخدري « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني الحيات :  
ليخرج من كل رجلين رجل ، ثم قال للقاعد : أيكم خلف الخارج في أهله فله









من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ؟ » .

لقد كان الرسولان الكريمان نوح ومحمد عليهما السلام يدعوان إلى دين الله ويريان الأمم على أن هذا الدين صلة بين الله وبين عباده وأن من حق هذه الصلة أن تشيع في كل مجتمع عناصر العدالة والسعادة بين بنيه ، أي لا بد من سيادة الحرية والأخاء والمساواة فيه .

\*\*\*

وقد عز على الرأسماليين هذا وتوارثوا قبيلًا بعد قبيل الثورة عليه حتى إن القرآن يتساءل مستنكرًا شيوع هذا المنطق الطاغى بينهم : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون . أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون ، فتولّ عنهم فما أنت بملوم » .

وقد بقي هذا النزاع على حدته واضطرت الرأسمالية للخضوع له في عهد الأنبياء وأتباعهم من الحواريين والصحابة المخلصين . . . ثم بدأت الأمور تتحول عن مجراها ، فترحزحت الديانات — على أيدي رجالها — عن مبادئها المثالية . . . وتنازلت الرأسمالية قليلا عن بعض صلفها وغرورها فتولد من ذلك ضرب من التدين المدخول لم تتقدم به الإنسانية خطوة ، ولم تسعد به الشعوب لحظة . ولقد جاء الإسلام فنعى على من سبقه هذا التشويه لرسالات الله ، وحذر أتباعه أن يميلوا عن الصراط المستقيم ، ثم جدد الإسلام شباب المبادئ الفاضلة والمثل العليا التي بشر النبيون قديما بها ، وأقام حكما يرتكز في الداخل ويدعو في الخارج إلى التدين الصحيح ، التدين الذي ينفذ طوائف للمستضعفين ويرغم أنوف المتكبرين ، ويحرر ثم يسوى ويؤاخى بين الناس

de la vie de Jésus-Christ  
à l'école de la vie  
de la vie de Jésus-Christ  
à l'école de la vie

أجمعين . وقد استيقظت المسيحية أخيرا ، وحاولت أن تصلح مسلكها في ميدان الحياة العملية ، ولكن يظهر أنها جاءت بعد ما فاتها القطار ، فبالرغم من التصريحات الاشتراكية المثيرة التي يذيعها رئيس أساقفة ( كنتربرى ) — حتى لقب بالتسيس الأحمر — فإن العالم لم يبد منه أنه عادت إليه ثقته في الكنيسة وتعاليمها . ولعل ذلك راجع إلى التاريخ المحزن الطويل الذي سجلته الإنسانية للاضطهادات العلمية والسياسية والاقتصادية التي أوقعها رجال المسيحية بمخضومهم من قادة النهضات الحرة ؛ ذلك . . . فضلا عن أن المسيحية إذا قيست بالإسلام في تعاليمه الاقتصادية شالت كفتها وبدت كأنما ليس بها إلا الفراغ . ولهذا يصعب عليها جداً أن تمسك بالزمام في هذه الأمور !! إن بالإسلام — قرآنا وسنة — من الخلمات المتوافرة ما يمكننا من صياغة أدق آلة اشتراكية تضبط النافر والمتجدد من شئون الناس ، كما أن بهذا الدين من خصوبة المادة ما ينمي رياضاً زاهرة من الروحانية الفواحة والفضائل النضرة ، لا بد منها لتدعيم كل نظام وحماية أى مجتمع . . . وانظر إلى القرآن تنزل به سورة تسمى سورة « الماعون » تقرأ فاتحتها ، فإذا بها تعتبر كفرا زجر اليتيم ، ومجافاة المسكين وتقرأ خاتمتها فإذا بها تجعل نفاقاً أن يضمن صاحب شيء بإعارته لمن يستعيره محتاجاً إليه .

ويكون من أوائل ما نزل به الوحي وفي طليعة ما يستمع الناس إليه من مبادئ الرسالة الجديدة ، ويستدلون به على وجهتها في الحياة : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة . . . »

وقد ذكر القرآن أغراضه في ذلك مجملة ، ثم جاءت السنة بتفاصيل دقيقة تبين أحكام الإسلام في الحياة الرأسمالية الناعمة ، وما يحف بها من زينة

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

ومتاع ، فكانت نصح النبوة في هذا المضمار حملة شعواء لم يعرف التاريخ  
أصدق منها في زجر الناس عن معيشة الرخاوة والافتيات ، ودفعتهم بقوة إلى  
معيشة العمل والاخشيشان ! .

\*\*\*

إن هذه الطبقات العالية تنسبع من كل شيء على حساب غيرها ، وتفتمن  
في تلوين أغذيتها على ما تهوى وعلى ما يعينها واسع ثرائها ، فيقول الرسول  
صلى الله عليه وسلم فيهم : « إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً  
يوم القيامة » .

وحدث أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من هؤلاء المتخممين فلم  
يفته تفتيه إلى أن هذا الذي يأكله فوق طاقته ، إنما هو مغمصوب من حاجات  
الآخرين ، فعن جمدة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً عظيم البطن  
فقال بإصبعه — أشار إلى بطنه بإصبعه — لو كان هذا في غير هذا المكان  
لسكان خيراً لك .

وقد نرى الأعيان في القرى والمدن يحتكرون الأطايب لأنفسهم ويرون  
ذلك شارة لازمة لتدعيم عزتهم وتكريم مكانتهم لأن الموائد الضخمة لضخام  
الناس ، والموائد الهزيلة لهازيلهم في الوضع الاجتماعي ، فيجىء الرسول العظيم  
فيكسر هذا الميزان ويقول : « ليؤتبن يوم القيامة بالطويل الأكل  
الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة » .

وكان من تطبيق عمر للاشترابية الإسلامية أن كان يذهب إلى مجزرة  
المدينة فمن رآه يشتري لحماً يومين متتابعين علاه بدرته ويقول له : هلا طويت  
بذلك جارك وابن عمك ! وقد لاحظ عمر أن جابر بن عبد الله أسرف يوماً  
في شراء اللحم فلم يتركه حتى أنه . وما ذلك عن تحريم ما أحل الله . ولكن

الكلمة  
من مصنفه  
تتعلق  
بشيء  
120  
من  
الاصول  
في  
الاصول  
الاصول  
(الكلمة)

عمر في كلمته السابقة يريد حفظ التوازن الاجتماعي ولو أدى ذلك إلى مراقبة  
أنفه التصرفات . وهذا أصدق فقه لدين الله ، وأعظم صيانة لأحوال الناس .

\*\*\*

وتبع الإسلام أولئك المترفين في قصورهم ، فيم يطعمون ؟ يجب أن  
يأكلوا ويشربوا في الأواني المعتادة للجاهير من نحاس أو زجاج أو غيرها  
أما أن يستعملوا أواني الذهب والفضة فلا . . . ! « إن الذي يأكل أو يشرب  
في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » .

وهم يفرشون أسرتهن ويكسون أجسامهم ؟ بالحري ؟ لا . . . يجب أن  
يؤثوا بيوتهم ويستروا أبدانهم بالأقمشة الشعبية ؛ فقد روى « لا يستمتع  
بالحرير من يرجو أيام الله » وعن حذيفة قال : « نهى رسول الله عن لبس  
الحرير والديباج وأن يجلس عليه » . . . وقد أحل الدين للنساء أن يلبسن  
الحرير ولكنه حذرهن الفتنه به . . . !

وأخطر ما في هذه القصور لياليها الحمراء ، ومتعها الساذرة وشهواتها الجامحة  
إنها تكسب الكثير جدا وتعمل القليل جدا فهي توجه نشاطها المدخر إلى  
العريضة والنزق وتملأ أيامها الفارغة بالعبث والمجون . ومن قديم كان أسلوب  
هذه القصور الداعرة يستنزل على من فيها صواعق السماء . وقد حذر الرسول  
الأعظم سراة هذه الأمة أن ينهجوا في معيشتهم هذا النهج الخبيث ، وأن  
يندفعوا مع الغرائز الحيوانية الطائشة التي تقاب عبيدها كلابا وخنازير . . . !  
أفترام أصغوا إلى هذا النذير وانتفعوا من هذا التحذير ؟ ؟ ! كلابا ! فعن  
أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبئس قوم من هذه الأمة  
على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون وقد مسخوا قرده وخنازير . وليصينهم  
خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة بيني فلان وخسف

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

الليلة بدار فلان . وترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور . . . بشر بهم النحر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعة الرحم .

ولئن كانت ملائكة العذاب قديماً تولت تأديب الأمم المجرمة ، فإن زبانية الجو وشياطين التدمير ، المهرة في فنون الحرب الحديثة . سيتولون عن الملائكة هذه المهمة ، وهكذا كلما ارتد الناس في معاشهم إلى حيوانات ، ذهب بعضهم ضحية بعض الحروب والغارات .

\*\*\*

فإن يكن هذا موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ، فما الذي يربط الطبقات العاملة منه ؟ ولماذا تلاحقت الضعائين بين الشيوعية والإسلام فأصبحت الشيوعية في كثير من البلاد حلم الكادحين ! وأصبح الإسلام وغيره من الأديان رمز الرجعية التي تظن الجماهير في سيادتها سيادة الطوائف العاطلة وإذلال الطبقات العاملة ! هذه هي العقدة التي يجب أن تحل .

واستحكام الضيق في هذه العقدة يرجع إلى أمور كثيرة . منها أن التفكير الشيوعي شديد التعصب لما عنده ، شديد الثورة على ما عند غيره ، قليل الاستماع إلى آراء مخالفيه . . إنه تفكير الموتور لما أصابه فهو يريد أن يثار ممن يقابله يحسب أن الجميع أعداء له ألداء . . ومنها أن الإسلام — كدين — يحمل السمعة التي نالتها المسيحية قبله ، وهي سمعة لا تشرف الأديان في مسلكها نحو الفطرة الإنسانية وحقوقها المقررة . . والإسلام مظلوم في ذلك أشنع ظلم ، وثم أمر آخر يحز في نفوسنا نحن المسلمين حزناً : أن الحضارة الإنسانية لما تقدمت وبدأت تكشف عن مذاهبها السياسية ، والاقتصادية المعروفة كانت الفرعونية الحاكمة ، والقارونية الكاتزة تنقسم الشرق الإسلامي

هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟  
هل هذا هو موقف الإسلام من الرأسمالية الطاغية ؟

كذلك

لما كنت في  
البحرين  
فأمرت  
بأن  
أكتب  
هذا  
الكتاب  
في  
البحرين  
في  
البحرين

شرقة ، فتآمرت مع الملابس الأخرى على إظهار الإسلام في شكل هو منه بريء .

لكن هل معنى ذلك أن يطمس الحق وأن تسقط مكانته ؟ إن عشر الجهود التي تبذل في ترويج الشيوعية أو في مكائحتها لو بذلت في تفهم الإسلام وتطبيقه ، لكان ذلك أدنى إلى الصواب وأقرب إلى النجاح .  
بيد أن الإسلام لن يعجب الرأسمالية الشرقية الحاضرة . وسنرى في موضع آخر مصداق هذا الكلام .

### الرأسمالية الشرقية لا تستحق احتراماً .. !

ليست الخصومة بين الشيوعية وبين الرأسمالية على العقائد الروحية والمثل العليا ، بل هي خصومة مادية جافة معروف ميدانها وهدفها .  
والحرب التي دارت أو ستدور بينهما ليست من النوع الذي قال القرآن فيه : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » . إنما هما خصمان اختصموا في بطونهم . هذا يريد أن يزحم بطنه بصنوف الطعام ولا عليه إن جاع غيره . وذلك يريد العيش سواسية . شبع مشترك أو جوع مشترك ، أما صلة الفريقين بالله فصلة كفر من ناحية ، ونفاق من ناحية أخرى ، والكفر والنفاق في ميزان الحقيقة سواء ! .

ولم يدر العراك بين الشيوعية العالمية والرأسمالية العالمية على تقرير الفضائل الإنسانية المجردة وتقديس المثل العليا في الوجود . فكم من حق تآمر الفريقان على إضاعته ، ومن مطمع تسارعا جميعاً إلى اقتناصه ، ومن أعراض تساويا في ذبحها وإباحية انفقاً على إشاعتها وفرضها ! .

وأنى لهما ذلك وقد حرما من أغزر المنافع لهذه الأمور الخطيرة ؟ حرماً

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

من الدين وتوجيهه ! إن الدين وإيمانه ومثليه في عزلة قصية عن تلك القضايا الهامة .

٣  
٨

ويقتضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأثرون وهم شهود وهذه المعركة الطاحنة على الرغيف وملحقاته إن كان الدين قد أبعدها فلن يهمل حكمه عاجلاً أو آجلاً فيها ، ولا يجوز أن يطول أمد ذلك الإهمال على كل حال .

تلكم من الرأسمالية  
سبيلهم في الرأسمالية  
سبيلهم في الرأسمالية  
سبيلهم في الرأسمالية

إن أول ما يريب الإسلام من الرأسمالية - كنظام جرب وشهد العالم تطبيقه - أن الذي يربح منه طبقة محدودة جداً ، وأن هذه الطبقة الراجعة تقبل على الدنيا إقبالاً عارماً موصول اللذة بمدود المتعة تأكل التراث أكلاناً وتحب المال حباً جماً . وهذا المسلك تولد عنه خطران بالغا ، فالإقبال على الدنيا ومواتاة الفرص الواسعة للإفادة منها كره هؤلاء القوم في الدين وجعلهم يتجهمون لدعائه ويتبرمون بتوجيهاته . وهذا سر وقوف الرأسماليين القدامى في وجه الرسل الأولين وقفة سافرة الطغيان فصل القرآن مظاهرها في كثير من سوره .

وكما ينصرفون عن الدين هم أنفسهم يصرفون غيرهم عنه فإن عيون الجياع عند ما تتطلع إليهم لا ترتد إلا وهي مليئة بالحقد الأعمى والغیظ المكظوم . . ولأمر ما كفرت الشيوعية بكل شيء فقد تمخضت عنها بيئات سلبها الحرمان كل شيء ، فلم يترك لديها إلا تفكير الثوار المدمرين .

لأن الرأسمالية  
عالم الرأسمالية  
تلكم من الرأسمالية

ثم إن الإسلام يضيق بالرأسمالية لأنها لم تضع نظاماً جاداً لمحاربة الفقر ، بل لم تؤسس حكمها على فكرة إراحة الناس منه ، مع أن الحكم في نظر الإسلام يجب أن يكون وسيلة فعالة لمحاربة الضوائق العامة والخاصة ، وعلى الحاكم أن يسن من التشريعات والأنظمة ما يصل بالرعية إلى هذه النتيجة

المحتومة . فقد قال الرسول : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب  
دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم احتجب الله دون خلته وحاجته وفقره يوم القيامة » .  
وفي رواية أخرى : « ما من إمام يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلّة  
والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته » .

وروى معاذ هذا المعنى عن رسول الله أنه قال : « من ولي من أمر الناس

شيئاً فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة » .

والنظام الرأسمالي يهوى بالضعفاء والمحتاجين في مسكان سحيق ،  
ولا يتعرف إليهم إلا أدوات إنتاج يحترقون في النار التي تطهى للسادة  
مالذ وطاب ثم تتحول بوقودها الآدمي إلى عالم من . . . التراب ! وقد كان  
الحاكم المسلم الرشيد عمر بن الخطاب شديد الخذر على جمهور المسلمين من هذه  
المصائر المخرّنة ، ولذا كتب إلى أحد أمراء الجيوش الخطاب الآتي يرسم له  
طريق معاملة المسلمين .

فغن أبي عثمان التمهدي قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب ونحن  
بأذر بيجان مع عتبة بن فرقد فقال : « يا عتبة إنه ليس من كدك ولا كد أبيك  
ولا كد أمك !! فأشبع المسلمين في رحا لهم مما تشبع منه في رحلك ، وإياك  
والتنعم ! وزى أهل الشرك ولبوس الحرير . »

وهذا الخطاب صارم في أوامره لأن الفاروق صادق الإبانة عن روح  
الإسلام صائب النظرة إلى أحوال الرؤساء مع العامة فهو يريد أن يلزمهم  
حدود الله طوعاً أو كرهاً ولا يريد أن يولد في عهده نظام الطبقات .

هذا بعض ما يريب الإسلام الصحيح من الرأسمالية الطاغية التي عرفتها  
ولم تعرف غيرها بلاد الإسلام المنسكوبة والتي يراد تخفيف بعض أوضاعها  
بتشريع متواضع كتنقيح الملكيات الكبيرة . . . أفهذا كثير ؟؟ .

المنسكوبة  
الملكيات  
التي يراد  
تخفيفها

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO



ما أشبه الليلة بالبارحة ! ما أشبه حركة تقييد الملكيات اليوم بحركة  
 تحرير الرقيق في القرن السابق ! كلتا الحركتين طاعة محققة لأوامر الإسلام  
 ونزول حق على تعاليمه الحقة . . ومع ذلك فأصدقاء هذه الحركات بل قاداتها  
 ليسوا من رجال الدين .

من أسوأ ما  
 فعله الإسلام  
 من أن جعل  
 من الرقيق  
 ملكاً

وتفصيل ذلك أن العصور الوسطى حفلت بحركة اختطاف واسعة النطاق  
 أشرفت على تنظيمها عصابات مسلحة ، كانت تختطف الرجال السود من  
 المناطق الحارة والفتيات البيض من مناطق الشمال وهؤلاء التعماء من الرجال  
 والنساء أحرار أحرار ، لا يمارى في إثبات حق الحرية لهم من له مسكة من  
 عقل . ومع هذا سخر في الخدمة كثير من العبدان السود ، كما سخر في المتعة  
 كثير من هؤلاء الجوارى الجميلات ، وقامت أسواق الفخاسة تجت سمع وبصر  
 حكام الدنيا بالجبروت ، وحكام الدين بالفتوى ، فلم يتحرك للإنكار عليها  
 أحد ، ولو سألت أحد المختصين بإصدار الفتوى : هل يبيح الإسلام هذا الرق ؟  
 لنظر في كتبه لحظة ثم خرج لك بفتوى لها عرض وطول يثبت لك فيها بالآيات  
 والسنن أن القرآن أقر وجود العبيد والإماء ، وأن الرسول وصحابه استرقوا عدداً  
 لا يحصى من الكفار وأن أئمة الفقه فرعوا آلاف المسائل على أبواب شتى  
 تدور حول مشروعية الاسترقاق . الخ .

سأله  
 ٧٢

وبهذه الفتوى يختطف الأحرار ويستذلون ، وتؤسس للفخاسة مناسخ  
 ومتاجر في الشرق الإسلامي . .

وهي فتوى يخرج الواقع لها لسانه ! ويصب الدين عليها وعلى صاحبها  
 صواعقه ! لأن بين ما تضمنت من مسائل العلم وبين ما مثلت عنه من واقع  
 الحياة بعد المشرقين . وإذا جاءت عصابات الخطف تسأل مفتيها هل يجوز لها  
 الاسترقاق فكيف يقول لها : إن الإسلام يبيح الرق ؟؟ بل أن الإسلام يحميها .

وكذلك يعيد التاريخ نفسه ! فالجمهور اللاغب من طول العمل وضآلة الأجر ،  
المحرور من حقوق الحياة ونعمة الاسترواح ينظر إلى نفسه وإلى غيره فيرى  
أملاً كالأحد لضخامتها جمعت من سحت ثم بقيت بين الناس سناداً للجهت  
والطاغوت ، فإذا طالب أحد بتقييد ملكيات — حق أصحابها فيها أو هي من بيت  
العنكبوت — قيل له إن الإسلام يمنع تقييد الملكيات كما قيل في القرن السابق  
إن الإسلام يمنع إطلاق الرقيق . فأي إساءة للإسلام أبلغ من هذه الإساءة  
وأى صد عن دين الله أشد من هذا الصد ؟ إن تقييد هذه الأملاك التي نهبت  
كسرها هؤلاء الرجال الذين سرقوا . . كلاهما وضع للأموال في نصابها وقد أثبتنا  
قبلاً أن الإسلام لا يرى بأساً قط بتقييد التملك ، ولو كان المالك يتحرى في  
كسبه أن تكون ثروته درهما درهما حلالاً من حلال . وفيما سقنا من الدلائل  
في الفصول السابقة ما يجمع كل جبار عنيد ، وما يخرس كل متفقه بليد . !

إن الرأسمالية الشرقية تخشى من الشيوعية إذا دخلت أن تحارب التعطل  
والمتعطلين وأن تناصر العمل والعمال وأن تصادر المسروق وأن تنصف المظلوم ،  
بالتطرق الدامية التي تسلكها في إشعال ثورتها وتحقيق غايتها فهل هذه الرأسمالية  
تأمن الإسلام وترجو في ظله أن تبقى آثامها من غير نكير ؟ الحقيقة أن هذه  
الرأسمالية إذا كانت تحذر الشيوعية على نفسها مرة فيجب أن تحذر الإسلام  
على نفسها مائة مرة !

فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ! ومن يصون الحقوق ، ويمحق العموق  
ويمسح العار ويقاتل الفجار إذا لم يكن الدين المنزل من رب العالمين ! وصحيح  
أن الشيوعية لا تحترم العقيدة الدينية ونحن نحارب الإلحاد أياً كان جانبه  
وأياً كان صاحبه ، ولن نسمح لنحلة من النحل الشاردة أن تسطو على الوحي  
السماوي وتحذر مكاتته ولكن ماذا يلقى الدين من الخفارة والاكرام عند

لا ينبغي أن نرى في  
 هذه الميمنة وقد فقدتها عند أحزاب اليسرة؟ يا لصيغة الدين عند الفريقين؟  
 كل ما هنالك أن بعض الرجال الخبيثاء يحسن أن يمثل سمات الخشوع والتقوى  
 حاجة في نفسه ولا تقوى ولا خشوع هناك... ولعل من المضحكات والمبكيات  
 أن نرى صحفاً معروفة بالمجون المزمع، صحفاً من النوع الذي يضع على وجهه  
 «أحمر» دائماً، والذي لا عمل له إلا تحريك الشهوات الدفينة وإثارة أخس  
 المشاعر في دماء الشباب ودفع مواكب الحياة مجنونة لا ضابط لها من دين  
 أو خلق. هذه الصحف التي تدق طبولها لأنصار الرجعية في هذه البلاد دقاً  
 عنيفاً تجدها تخاصم الشيوعية، لأنها ضد الدين!! وبقية ترى محرري «آخر  
 ساعة» و«أخبار اليوم» وقد لبسوا عمامم التقوى وأعانوا الحرب على  
 الشيوعية الملحدة!؟

هذه طريقة في الحرب لا تهزم الشيوعية ولا تنصر الدين، والطريقة المثلى  
 علاج الأزمات المتوطنة بتعاليم الاشتراكية الإسلامية الفاجعة، وإلا فيقول  
 الناس إن الدين يمشى مع قوافل الظالمين فنحسب الدنيا والدين معا  
 وصدق القائل.

نزع ديننا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نزع!  
 وصحيح أن الشيوعية لا تحترم الديمقراطية السياسية، وأنها تقيم نظاما  
 يكبت الآراء ويطارد الخصوم ويستهن بأعظم ما وصات إليه الإنسانية من  
 «حرية الرأي» ونحن نحترم الحريات العامة ونمقت كل إثارة للاستبداد  
 السياسي أو الضغط الاجتماعي. وإنما يبكي على هذه الحريات من استمتع بها  
 وشم بمجوحة الحياة في رحابها، ولقد عادى الأمريكان الشيوعية عن اقتناع  
 مجرد ورضا ظاهر بأسلوب العيش الذي يسيرون عليه، فليس يجوز أن يفرض  
 عليهم مالا يقبلون، إن حرية الرأي هناك مقدسة وإن موازين الرجال هناك

لا ينبغي أن نرى في  
 هذه الميمنة وقد فقدتها عند أحزاب اليسرة؟ يا لصيغة الدين عند الفريقين؟

سليم صبا  
١٣٣٤

مضبوطة أما لدينا فوا أسفاه لا يوزن الرجال بالرأى ولا تعرف للرأى كرامة  
ولا نعرف من الديمقراطية إلا اسما لا مسمى له وإلا شبحا لاروح فيه . . .  
وقد سقت لك نبا العصبية المالية التي تتصرف في الانتخابات وتعاون  
مع الحكومات !! .

ماذا علينا لو جعلنا مظاهر العدل الاجتماعى ترتكز على دعائم الوحي  
السماوى ، فنقدم للإنسانية نظاما يصحح صلتها بربها ويصحح ما بين الناس  
من صلات ؟!

\*\*\*

Uranian fraternitas

إن الأخوة التي ينادى الإسلام بها تجعل الأمة جمعاء أسرة واحدة  
تربط بين بنينا أو اصرا قوية من دم العقيدة المشتركة وأعباء الواجبات  
الموزعة على الكبار والصغار ، وهذه الأخوة لا تسمح أبدا بوجود سادة  
متجبرين وأتباع مستذلين ، ولا تسمح أبدا بأى اختلال اقتصادى يؤدي  
إلى هذه الحال المنكرة .

وكلمة « الأخ » حسين هيكل مثلا أو « الأبخ » مصطفى النحاس يجب  
إسلاميا - أن تكون أصدق في دلالتها على الديمقراطية المطلقة من كلمة  
« الرفيق » ستالين أو « الرفيق » مولوتوف في الاتحاد السوفيتى .

أو كلمة « مستر » تشرشل و « مستر » إيدن في الجزائر البريطانية ذات  
النظام الشعبى العريق . ذلك إن كنا نريد حقا أن نجعل من الأخوة  
الاسلامية برنامجا واسع النطاق لمحو الفساد الاجتماعى والفوارق الاقتصادية  
الجائرة التي تسنده .

## رجولة ليس لها في بلادنا نظير

أذاع روتر هذا الخبر ، نسوقه إلى جمهور المسلمين ليقارن بين أخلاق زعمائنا وأخلاق زعماء الأمم الأخرى ، ثم ليرى أى الفريقين خير مقاماً وخير مكاناً ؟

( نيوجيرس في ٥/٩ - دهش عمال أحد مصانع أدوات الراديو هنا .

إذ علموا أن زميلهم الجديد « جوناس سرينوس » البالغ من العمر ٥٠ عاماً كان رئيس وزراء لتوانيا سنة ١٩٣٩ م . وقد وصل إلى أمريكا في الشهر الماضي ، ويشغل مبدئياً في هذا المصنع بأجر قدره ثلاثون دولاراً في الأسبوع ! ورئيس الوزراء السابق مهندس ميكانيكي . وقد تحدث عن تجاربه في ظل الاحتلالين الروسي والألماني لبلاده قائلاً : لقد شهدت أياماً مظلمة جداً . . . )

لقد طالعت هذا النبأ فازددت يقيناً بعظمة المستوى الأدبي الذي وصل إليه هؤلاء القوم ، ورفعة المنزلة التي وضعوا فيها العمل والعمال ودقة الموازين التي يحكمون بها على الناس ، فالرجل وكفايته قرينان يعاوان معاً أو يهبطان معاً ! . والرجل الكف كالأسد المهاب ، لا يعدم مكانه الكريم حينما حل . ولو بدل من أشجار الغابة قضبان السجن ، فلن يتحول كلباً على أية حال .

والعمل في أية مهنة شرف يقصر عن مثاله أحد رجلين : إما رجل لا يحسن أن يصنع شيئاً ، فهو عاطل عاجز لا قيمة له ولا خير فيه مهما أحيط بتظاهر الأبهة والتكريم ! .

وإما رجل يحسن أن يصنع شيئاً ، ولكن أدركته عقلية كبراء الشرق تلك العقلية القذرة المريضة التي تظن العمل ضعة لا تليق ، ولا تقبل من العمل إلا ما كان صورياً ناعماً ، ولا تطعم من الكسب إلا ما كان نهياً محرماً ! .



فأتى النبي فأجاره فقال النبي له : لعلك أغضبتهم . لئن كنت أغضبتهم لقد  
أغضبت ربك !! فأتاهم أبو بكر فقال يا إخواناه أغضبتكم؟ قالوا : لا . يغفر الله  
لك يا أخى .

ذلك أن الرسول وإن عفا عن سيد قريش . فلن ينسى أن سيد قريش  
هذا قد سبقه في ميدان الفضل والكرامة من كانوا أمس عبيداً له فهو يرفض  
أن يغضبهم من أجله !

ما أحرانا بإدراك هذه المبادئ جملة وتفصيلاً . . . لقد نسيناها فنسيتنا  
أسباب النصر والتقدم .

*أسباب النصر والتقدم*

١١٠  
١١١  
١١٢  
١١٣  
١١٤  
١١٥  
١١٦  
١١٧  
١١٨  
١١٩  
١٢٠  
١٢١  
١٢٢  
١٢٣  
١٢٤  
١٢٥  
١٢٦  
١٢٧  
١٢٨  
١٢٩  
١٣٠  
١٣١  
١٣٢  
١٣٣  
١٣٤  
١٣٥  
١٣٦  
١٣٧  
١٣٨  
١٣٩  
١٤٠  
١٤١  
١٤٢  
١٤٣  
١٤٤  
١٤٥  
١٤٦  
١٤٧  
١٤٨  
١٤٩  
١٥٠  
١٥١  
١٥٢  
١٥٣  
١٥٤  
١٥٥  
١٥٦  
١٥٧  
١٥٨  
١٥٩  
١٦٠  
١٦١  
١٦٢  
١٦٣  
١٦٤  
١٦٥  
١٦٦  
١٦٧  
١٦٨  
١٦٩  
١٧٠  
١٧١  
١٧٢  
١٧٣  
١٧٤  
١٧٥  
١٧٦  
١٧٧  
١٧٨  
١٧٩  
١٨٠  
١٨١  
١٨٢  
١٨٣  
١٨٤  
١٨٥  
١٨٦  
١٨٧  
١٨٨  
١٨٩  
١٩٠  
١٩١  
١٩٢  
١٩٣  
١٩٤  
١٩٥  
١٩٦  
١٩٧  
١٩٨  
١٩٩  
٢٠٠  
٢٠١  
٢٠٢  
٢٠٣  
٢٠٤  
٢٠٥  
٢٠٦  
٢٠٧  
٢٠٨  
٢٠٩  
٢١٠  
٢١١  
٢١٢  
٢١٣  
٢١٤  
٢١٥  
٢١٦  
٢١٧  
٢١٨  
٢١٩  
٢٢٠  
٢٢١  
٢٢٢  
٢٢٣  
٢٢٤  
٢٢٥  
٢٢٦  
٢٢٧  
٢٢٨  
٢٢٩  
٢٣٠  
٢٣١  
٢٣٢  
٢٣٣  
٢٣٤  
٢٣٥  
٢٣٦  
٢٣٧  
٢٣٨  
٢٣٩  
٢٤٠  
٢٤١  
٢٤٢  
٢٤٣  
٢٤٤  
٢٤٥  
٢٤٦  
٢٤٧  
٢٤٨  
٢٤٩  
٢٥٠  
٢٥١  
٢٥٢  
٢٥٣  
٢٥٤  
٢٥٥  
٢٥٦  
٢٥٧  
٢٥٨  
٢٥٩  
٢٦٠  
٢٦١  
٢٦٢  
٢٦٣  
٢٦٤  
٢٦٥  
٢٦٦  
٢٦٧  
٢٦٨  
٢٦٩  
٢٧٠  
٢٧١  
٢٧٢  
٢٧٣  
٢٧٤  
٢٧٥  
٢٧٦  
٢٧٧  
٢٧٨  
٢٧٩  
٢٨٠  
٢٨١  
٢٨٢  
٢٨٣  
٢٨٤  
٢٨٥  
٢٨٦  
٢٨٧  
٢٨٨  
٢٨٩  
٢٩٠  
٢٩١  
٢٩٢  
٢٩٣  
٢٩٤  
٢٩٥  
٢٩٦  
٢٩٧  
٢٩٨  
٢٩٩  
٣٠٠  
٣٠١  
٣٠٢  
٣٠٣  
٣٠٤  
٣٠٥  
٣٠٦  
٣٠٧  
٣٠٨  
٣٠٩  
٣١٠  
٣١١  
٣١٢  
٣١٣  
٣١٤  
٣١٥  
٣١٦  
٣١٧  
٣١٨  
٣١٩  
٣٢٠  
٣٢١  
٣٢٢  
٣٢٣  
٣٢٤  
٣٢٥  
٣٢٦  
٣٢٧  
٣٢٨  
٣٢٩  
٣٣٠  
٣٣١  
٣٣٢  
٣٣٣  
٣٣٤  
٣٣٥  
٣٣٦  
٣٣٧  
٣٣٨  
٣٣٩  
٣٤٠  
٣٤١  
٣٤٢  
٣٤٣  
٣٤٤  
٣٤٥  
٣٤٦  
٣٤٧  
٣٤٨  
٣٤٩  
٣٥٠  
٣٥١  
٣٥٢  
٣٥٣  
٣٥٤  
٣٥٥  
٣٥٦  
٣٥٧  
٣٥٨  
٣٥٩  
٣٦٠  
٣٦١  
٣٦٢  
٣٦٣  
٣٦٤  
٣٦٥  
٣٦٦  
٣٦٧  
٣٦٨  
٣٦٩  
٣٧٠  
٣٧١  
٣٧٢  
٣٧٣  
٣٧٤  
٣٧٥  
٣٧٦  
٣٧٧  
٣٧٨  
٣٧٩  
٣٨٠  
٣٨١  
٣٨٢  
٣٨٣  
٣٨٤  
٣٨٥  
٣٨٦  
٣٨٧  
٣٨٨  
٣٨٩  
٣٩٠  
٣٩١  
٣٩٢  
٣٩٣  
٣٩٤  
٣٩٥  
٣٩٦  
٣٩٧  
٣٩٨  
٣٩٩  
٤٠٠  
٤٠١  
٤٠٢  
٤٠٣  
٤٠٤  
٤٠٥  
٤٠٦  
٤٠٧  
٤٠٨  
٤٠٩  
٤١٠  
٤١١  
٤١٢  
٤١٣  
٤١٤  
٤١٥  
٤١٦  
٤١٧  
٤١٨  
٤١٩  
٤٢٠  
٤٢١  
٤٢٢  
٤٢٣  
٤٢٤  
٤٢٥  
٤٢٦  
٤٢٧  
٤٢٨  
٤٢٩  
٤٣٠  
٤٣١  
٤٣٢  
٤٣٣  
٤٣٤  
٤٣٥  
٤٣٦  
٤٣٧  
٤٣٨  
٤٣٩  
٤٤٠  
٤٤١  
٤٤٢  
٤٤٣  
٤٤٤  
٤٤٥  
٤٤٦  
٤٤٧  
٤٤٨  
٤٤٩  
٤٥٠  
٤٥١  
٤٥٢  
٤٥٣  
٤٥٤  
٤٥٥  
٤٥٦  
٤٥٧  
٤٥٨  
٤٥٩  
٤٦٠  
٤٦١  
٤٦٢  
٤٦٣  
٤٦٤  
٤٦٥  
٤٦٦  
٤٦٧  
٤٦٨  
٤٦٩  
٤٧٠  
٤٧١  
٤٧٢  
٤٧٣  
٤٧٤  
٤٧٥  
٤٧٦  
٤٧٧  
٤٧٨  
٤٧٩  
٤٨٠  
٤٨١  
٤٨٢  
٤٨٣  
٤٨٤  
٤٨٥  
٤٨٦  
٤٨٧  
٤٨٨  
٤٨٩  
٤٩٠  
٤٩١  
٤٩٢  
٤٩٣  
٤٩٤  
٤٩٥  
٤٩٦  
٤٩٧  
٤٩٨  
٤٩٩  
٥٠٠  
٥٠١  
٥٠٢  
٥٠٣  
٥٠٤  
٥٠٥  
٥٠٦  
٥٠٧  
٥٠٨  
٥٠٩  
٥١٠  
٥١١  
٥١٢  
٥١٣  
٥١٤  
٥١٥  
٥١٦  
٥١٧  
٥١٨  
٥١٩  
٥٢٠  
٥٢١  
٥٢٢  
٥٢٣  
٥٢٤  
٥٢٥  
٥٢٦  
٥٢٧  
٥٢٨  
٥٢٩  
٥٣٠  
٥٣١  
٥٣٢  
٥٣٣  
٥٣٤  
٥٣٥  
٥٣٦  
٥٣٧  
٥٣٨  
٥٣٩  
٥٤٠  
٥٤١  
٥٤٢  
٥٤٣  
٥٤٤  
٥٤٥  
٥٤٦  
٥٤٧  
٥٤٨  
٥٤٩  
٥٥٠  
٥٥١  
٥٥٢  
٥٥٣  
٥٥٤  
٥٥٥  
٥٥٦  
٥٥٧  
٥٥٨  
٥٥٩  
٥٦٠  
٥٦١  
٥٦٢  
٥٦٣  
٥٦٤  
٥٦٥  
٥٦٦  
٥٦٧  
٥٦٨  
٥٦٩  
٥٧٠  
٥٧١  
٥٧٢  
٥٧٣  
٥٧٤  
٥٧٥  
٥٧٦  
٥٧٧  
٥٧٨  
٥٧٩  
٥٨٠  
٥٨١  
٥٨٢  
٥٨٣  
٥٨٤  
٥٨٥  
٥٨٦  
٥٨٧  
٥٨٨  
٥٨٩  
٥٩٠  
٥٩١  
٥٩٢  
٥٩٣  
٥٩٤  
٥٩٥  
٥٩٦  
٥٩٧  
٥٩٨  
٥٩٩  
٦٠٠  
٦٠١  
٦٠٢  
٦٠٣  
٦٠٤  
٦٠٥  
٦٠٦  
٦٠٧  
٦٠٨  
٦٠٩  
٦١٠  
٦١١  
٦١٢  
٦١٣  
٦١٤  
٦١٥  
٦١٦  
٦١٧  
٦١٨  
٦١٩  
٦٢٠  
٦٢١  
٦٢٢  
٦٢٣  
٦٢٤  
٦٢٥  
٦٢٦  
٦٢٧  
٦٢٨  
٦٢٩  
٦٣٠  
٦٣١  
٦٣٢  
٦٣٣  
٦٣٤  
٦٣٥  
٦٣٦  
٦٣٧  
٦٣٨  
٦٣٩  
٦٤٠  
٦٤١  
٦٤٢  
٦٤٣  
٦٤٤  
٦٤٥  
٦٤٦  
٦٤٧  
٦٤٨  
٦٤٩  
٦٥٠  
٦٥١  
٦٥٢  
٦٥٣  
٦٥٤  
٦٥٥  
٦٥٦  
٦٥٧  
٦٥٨  
٦٥٩  
٦٦٠  
٦٦١  
٦٦٢  
٦٦٣  
٦٦٤  
٦٦٥  
٦٦٦  
٦٦٧  
٦٦٨  
٦٦٩  
٦٧٠  
٦٧١  
٦٧٢  
٦٧٣  
٦٧٤  
٦٧٥  
٦٧٦  
٦٧٧  
٦٧٨  
٦٧٩  
٦٨٠  
٦٨١  
٦٨٢  
٦٨٣  
٦٨٤  
٦٨٥  
٦٨٦  
٦٨٧  
٦٨٨  
٦٨٩  
٦٩٠  
٦٩١  
٦٩٢  
٦٩٣  
٦٩٤  
٦٩٥  
٦٩٦  
٦٩٧  
٦٩٨  
٦٩٩  
٧٠٠  
٧٠١  
٧٠٢  
٧٠٣  
٧٠٤  
٧٠٥  
٧٠٦  
٧٠٧  
٧٠٨  
٧٠٩  
٧١٠  
٧١١  
٧١٢  
٧١٣  
٧١٤  
٧١٥  
٧١٦  
٧١٧  
٧١٨  
٧١٩  
٧٢٠  
٧٢١  
٧٢٢  
٧٢٣  
٧٢٤  
٧٢٥  
٧٢٦  
٧٢٧  
٧٢٨  
٧٢٩  
٧٣٠  
٧٣١  
٧٣٢  
٧٣٣  
٧٣٤  
٧٣٥  
٧٣٦  
٧٣٧  
٧٣٨  
٧٣٩  
٧٤٠  
٧٤١  
٧٤٢  
٧٤٣  
٧٤٤  
٧٤٥  
٧٤٦  
٧٤٧  
٧٤٨  
٧٤٩  
٧٥٠  
٧٥١  
٧٥٢  
٧٥٣  
٧٥٤  
٧٥٥  
٧٥٦  
٧٥٧  
٧٥٨  
٧٥٩  
٧٦٠  
٧٦١  
٧٦٢  
٧٦٣  
٧٦٤  
٧٦٥  
٧٦٦  
٧٦٧  
٧٦٨  
٧٦٩  
٧٧٠  
٧٧١  
٧٧٢  
٧٧٣  
٧٧٤  
٧٧٥  
٧٧٦  
٧٧٧  
٧٧٨  
٧٧٩  
٧٨٠  
٧٨١  
٧٨٢  
٧٨٣  
٧٨٤  
٧٨٥  
٧٨٦  
٧٨٧  
٧٨٨  
٧٨٩  
٧٩٠  
٧٩١  
٧٩٢  
٧٩٣  
٧٩٤  
٧٩٥  
٧٩٦  
٧٩٧  
٧٩٨  
٧٩٩  
٨٠٠  
٨٠١  
٨٠٢  
٨٠٣  
٨٠٤  
٨٠٥  
٨٠٦  
٨٠٧  
٨٠٨  
٨٠٩  
٨١٠  
٨١١  
٨١٢  
٨١٣  
٨١٤  
٨١٥  
٨١٦  
٨١٧  
٨١٨  
٨١٩  
٨٢٠  
٨٢١  
٨٢٢  
٨٢٣  
٨٢٤  
٨٢٥  
٨٢٦  
٨٢٧  
٨٢٨  
٨٢٩  
٨٣٠  
٨٣١  
٨٣٢  
٨٣٣  
٨٣٤  
٨٣٥  
٨٣٦  
٨٣٧  
٨٣٨  
٨٣٩  
٨٤٠  
٨٤١  
٨٤٢  
٨٤٣  
٨٤٤  
٨٤٥  
٨٤٦  
٨٤٧  
٨٤٨  
٨٤٩  
٨٥٠  
٨٥١  
٨٥٢  
٨٥٣  
٨٥٤  
٨٥٥  
٨٥٦  
٨٥٧  
٨٥٨  
٨٥٩  
٨٦٠  
٨٦١  
٨٦٢  
٨٦٣  
٨٦٤  
٨٦٥  
٨٦٦  
٨٦٧  
٨٦٨  
٨٦٩  
٨٧٠  
٨٧١  
٨٧٢  
٨٧٣  
٨٧٤  
٨٧٥  
٨٧٦  
٨٧٧  
٨٧٨  
٨٧٩  
٨٨٠  
٨٨١  
٨٨٢  
٨٨٣  
٨٨٤  
٨٨٥  
٨٨٦  
٨٨٧  
٨٨٨  
٨٨٩  
٨٩٠  
٨٩١  
٨٩٢  
٨٩٣  
٨٩٤  
٨٩٥  
٨٩٦  
٨٩٧  
٨٩٨  
٨٩٩  
٩٠٠  
٩٠١  
٩٠٢  
٩٠٣  
٩٠٤  
٩٠٥  
٩٠٦  
٩٠٧  
٩٠٨  
٩٠٩  
٩١٠  
٩١١  
٩١٢  
٩١٣  
٩١٤  
٩١٥  
٩١٦  
٩١٧  
٩١٨  
٩١٩  
٩٢٠  
٩٢١  
٩٢٢  
٩٢٣  
٩٢٤  
٩٢٥  
٩٢٦  
٩٢٧  
٩٢٨  
٩٢٩  
٩٣٠  
٩٣١  
٩٣٢  
٩٣٣  
٩٣٤  
٩٣٥  
٩٣٦  
٩٣٧  
٩٣٨  
٩٣٩  
٩٤٠  
٩٤١  
٩٤٢  
٩٤٣  
٩٤٤  
٩٤٥  
٩٤٦  
٩٤٧  
٩٤٨  
٩٤٩  
٩٥٠  
٩٥١  
٩٥٢  
٩٥٣  
٩٥٤  
٩٥٥  
٩٥٦  
٩٥٧  
٩٥٨  
٩٥٩  
٩٦٠  
٩٦١  
٩٦٢  
٩٦٣  
٩٦٤  
٩٦٥  
٩٦٦  
٩٦٧  
٩٦٨  
٩٦٩  
٩٧٠  
٩٧١  
٩٧٢  
٩٧٣  
٩٧٤  
٩٧٥  
٩٧٦  
٩٧٧  
٩٧٨  
٩٧٩  
٩٨٠  
٩٨١  
٩٨٢  
٩٨٣  
٩٨٤  
٩٨٥  
٩٨٦  
٩٨٧  
٩٨٨  
٩٨٩  
٩٩٠  
٩٩١  
٩٩٢  
٩٩٣  
٩٩٤  
٩٩٥  
٩٩٦  
٩٩٧  
٩٩٨  
٩٩٩  
١٠٠٠

فهيلا جلست حتى أجمع لفاطمة فضل تمرات!! فجلس الرسول حتى اجتمع لفاطمة فضل تمر وضعوه في خرقة ثم عادوا جميعاً .

ويقول على كرم الله وجهه في وصف عمله هذا . . . لم يكن في بيتي شيء آكله ، ولو كان في بيت النبي شيء لبغني ! فانطلقت إلى يهودى في بستان له ببعض نواحي المدينة واطلعت عليه من ثغرة في جداره فقال : مالك يا أعرابي ؟ هل لك في دلو بتمرة ؟ قلت نعم . افتح لي البستان فدخلت فجعلت أنزع الدلو ويعطيني ثمرة حتى ملأت كفي . . . » .

هذا الرجل الكبير ، أتصدق أن من ذريته من يريد أن يحيا عاطلاً ؟ .

وأن يفتات على أمة محمد بنسب إليه صحيح أو لصيق

يا شعوب الشرق : انسبوا الرجال إلى أعمالهم ، فمن لا عمل له فاحقرهوا

نسبه واقطعوا سببه ! .

يا شعوب الشرق : لا تمنعوا للأوهام ، ولا يبهرنكم ما يملأ الأيدي

العاطلة من حطام ، إن اليد العاملة هي العليا واليد العاطلة هي السفلى فلا تقلبوا

ميزان الحقائق وإلا انقلبت بكم موازين الدنيا وتفكرت لكم أرجاء العالمين .

يا شعوب الشرق : سواوا صفوفكم من جديد ، واجعلوا العاملين هم السادة

والعاطلين هم العبيد ، فحرام أن يحيا العاطل بله أن يسود . !



(٥)

المتحدث الرسمي باسم الاسلام...

## حرية الرأي (١)

استدراك من ذلك من ذلك  
من ذلك من ذلك  
من ذلك من ذلك  
من ذلك من ذلك

في مزدهر الحضارة الإسلامية كانت حرية الرأي مكفولة إلى حد بعيد ،  
وكان البحث عن الحقيقة وتعرف وجه الصواب ميسورا لكل من واثقه  
الوسائل الصحيحة .

وحيث لم يوجد في مسألة علمية نص يعلو على الشبهة ويثبت أمام  
التأويل ، فإن المجال رحيب أمام عقول الرجال ، أجل حيث تتكاثر الأدلة ،  
وتتلون أساليب الفهم — في حدود قواعد اللغة — ، وتختلف الأنظار ويختلف  
وزن المصلحة العامة ويتسع الأفق أو يضيق أمام مبتغى الحق الساعى لكشف  
النقاب عنه ، ففي الأمر مندوحة ، ولا حرج على المسلم أن يعتنق أى مذهب  
ويجنح إلى أى رأى ..

ومن أقوال أبي حنيفة في هذا المعنى وهو في طليعة المجتهدين فضلا وعلما  
« هذا الذى نحن فيه رأى لا نجبر عليه أحدا ، ولا نقول : يجب على أحد  
قبوله ، فمن كان عنده أحسن منه فليأت به » !!

وقال أيضاً « ما جاء عن رسول الله فعلى الرأس والعين ، وما جاء عن  
الصحابة اخترنا ، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال » وكذلك  
قال مالك « كل امرئ يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام » . . .  
يعنى رسول الله ولم يكن هناك موضع لتعصب ذمى أو جمود بليد فإن هذه الآفات  
العقلية لا تصيب إلا قصار الباع ولا تعترى إلا كل مغموز في فضله مطعون  
في عقله . بل إن المجتهد الحر ما كان يزيد على أن يقول رأى صواب يحتمل الخطأ  
ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب . وقد أرضى الجميع أن الإسلام احتفى بحرية

(١) كتب هذا الباب وقت أن كان الشيخ حسين مخلوف مفتيا للديار المصرية .

البحث ولم يقصر رحمة الله على من أصاب الحق في بحثه بل جعل للمجتهد  
المخطيء أجراً ، وإن يكن نصف أجر المصيب . فهذا أفضل ما يقدمه دين  
ليحض العلماء على التحري والتدقيق والمصابرة واستنفاد آخر ما لديهم من ذكاء  
وجهد . ثم هم بعد على منازلهم من فضل الله بقدر ما وفقوا إلى إصابة الحقيقة  
أو القرب منها . . . على هذا الأساس سنناقش حضرة صاحب الفضيلة مفتي  
الديار المصرية السابق الشيخ محمد حسنين مخلوف فيما ساق أخيراً من آراء  
حول نظام الملكيات في الإسلام وعلل القارىء قد لاحظ أننا في مقالاتنا  
السبع السابقة قد رددنا على كثير من المبادئ الفقهية التي أريد فرضها على  
الإسلام ، وأبنا بشتى النصوص والقواعد أن الإسلام لا مانع لديه من تقييد  
الملكيات ، وأن أية حكومة تجد ذلك في مصلحة الشعب فالإسلام ظهير لها  
فيما تضع على الأملاك من قيود وحدود ، بل إننا أبنا أن الإسلام يحكم بمصادرة  
كثير من الأملاك التي تحوم حول تملكها التهم ولا يعرف لها مصدر مشروع  
من كسب حلال . ولن نعود إلى تكرار ما أسلفنا شرحه ولكننا نضيف  
زيادة موجزة إلى ما سبق بعد ما اطلعنا على كراسة صغيرة لفضيلة المفتي ضمنها  
أشياء لم نر بدأ من الوقوف عندها معقبين .

بسم الله الرحمن الرحيم  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

## الدفاع عن الرأسمالية

إذا قال قائل إن للإسلام نظاماً مستقلاً برزت للحياة وطبقت منذ بضعة  
عشر قرناً قبل أن تولد المذاهب الاجتماعية الحديثة ، ومن ثم فلا يجوز وصف  
الإسلام بأى نعت من النعوت التي تلحقه بالمبادئ المستحدثة أخيراً فإن لهذا  
القائل وجهة نظره التي لا اعتراض عليها . وعليه أن يذكر بوضوح ما شرع الإسلام  
للناس في ميدان السياسة وفي ميدان الاقتصاد وله أن يتحرج من وصف الإسلام  
بأنه دين ديمقراطي في الحكم أو اشتراكي في المجتمع فقد يخشى من هذه الصفات

الطارئة أن تحوله من مجراه الطبيعي أو تحكم عليه بأوضاع لا محل لالتزامها .  
ولعل هذه الملاحظة هي التي جعلت فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر  
يرفض وصف الإسلام بأنه دين اشتراكي . وليس معنى عدم وصف الإسلام  
بأنه اشتراكي أنه رأسمالي أو معنى عدم وصفه بأنه دين ديمقراطي أنه ديكتاتوري  
بل المقصود أن للإسلام أوضاعه الخاصة التي تعلق على هذه المذاهب جميعاً . .  
وهذا حق . وإنما وصفنا نحن الإسلام بأنه ديمقراطي لأن هذا الوصف في نظرنا  
أقرب ما يكون لتحقيق الشورى في الإسلام . ووصفناه بأنه اشتراكي لأن هذا  
الوصف أقرب ما يكون إلى تحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام . والاختلاف  
في التسمية لا ضير فيه إنما الضير في أن نوهم الناس بأن الإسلام دين رأسمالي  
وأنه يحافظ على الأوضاع الاقتصادية الظلمة . ويأمر بسفك الدم في الدفاع عنها  
وهذا ما قد يفهمه من يقرأ الرسالة التي كتبها فضيلة المفتي في هذا الموضوع  
والتي ختمها بهذا الكلام « لقد أسرف الكاتبون في الطعن على الرأسمالية  
بجراحة لتلك الدعايات الهادمة وصوروها للناس بأبشع الصور . . »

فالدفاع عن الرأسمالية لا معنى له البتة في صدد الدفاع عن الإسلام ثم إن  
تصور الحياة الاقتصادية بأنها إما رأسمالية وإما شيوعية غلط علمي فإن هناك  
مناهج اشتراكية أخرى كاشتراكية الدولة مثلاً ، التي يتجه إليها الإنجليز في بلادهم  
— وعداؤهم للشيوعية معروف — وهناك نظم تعاونية ليس الآن مجال تفصيلها .

والمهم أن أشد المذاهب الاقتصادية مجافاة لروح الدين المذهب الرأسمالي .

وقد بدا أصحابه يتحولون سراعاً عنه ويحيطونه بشتى اللطافات التي تخفف  
من وطأته الثقيلة على غيرهم من الفقراء . فبأى وجه يدافع ممثلو الإسلام  
عن هذا النظام ؟ وهل نحارب باطل الشيوعية بباطل لا يقل خزيًا عنه ؟ وفي  
أى حياة نسوق هذا الدفاع ؟ في حياة عرفت من الرأسمالية أبشع ألوانها وتلقت

أقصى ضرباتها وسقط الشعب فيها صريعاً للثاوث المدمر المعروف ، ثاوث  
الفقر والجهل والمرض ؟

*Actual  
Détachable  
la relation au  
sujet*

### فتوى من البرج العاجي

الواقع أن الآراء النظرية قد تتضمن شيئاً من الصحة أو تحتمل أن تكون  
صحيحة عند من يقرأها وهو مقطوع الصلة بمن تعرضت لهم هذه الآراء بالخير  
أو بالشر . والفقهاء الصحيح لا يرسل القول على عواهنه بل لا بد له من أمرين  
تمحيص القضية التي تعرض عليه تمحيصاً يستشف جوهرها ويستكشف خبيثها ،  
ثم الاجتهاد في تطبيق النصوص الواردة عليها أو ردها إلى القواعد العامة لتحكم  
فيها إن لم تكن هناك نصوص حاسمة .

والكراسة التي بين يدي تعرضت للملكيات الزراعية في مصر فقالت :  
« احترام الإسلام حق الملكية . فأباح لكل فرد أن يملك بالأسباب  
المشروعة ما يشاء من المنقولات والعقارات . وأباح له استثمارها والانتفاع بها  
في نطاق الحدود التي رسمها وخوله حق الدفاع عنهما كالدفاع عن النفس  
والعرض . » أما أن الإسلام احترم حق الملكية فصحيح ، وصحيح أيضاً أنه  
يمنح الحاكم حق تقييد الملكيات بل يوجب عليه هذا التقييد أحياناً ما دامت  
الدواعي تفرض ذلك . لكن أي الملكيات هو الذي يحترم ؟ إنه إذا كان  
تملك العين بسبب مشروع واستثمارها بطريق مشروع .

تد

m

cit

فهل يوجد من علماء الدين أو علماء الدنيا من ينظر في تاريخ التملك الزراعي  
بمصر ووسائل الاستثمار الحاضر ثم يجزؤ على القول بأنها موافقة لروح الإسلام  
لقد ترك المفتي الكلام في هذا الموضوع واكتفى بأن يوصي الملاك بالدفاع عن  
حقوقهم فيما يملكون ويستثمرون ! مع أن أحداً لا يجهل أن أربعة أخماس

تد

الملاك الكبار يا كلون من سحت . فليست الأرض أرضهم ولا غلتها ينبغي  
أن تبقى لهم . وهذا وزير الشؤون الاجتماعية يصرح في حديث له أن الفلاح  
المصرى لا يصيب من المحصولات التي تنتجها الأرض عشر الناتج ، مع أن هذه  
الأرض ارتوت من عرقه ومع أن ثمارها لم تنضج إلا على احتراق أعصابه ،  
ومع أن صاحبها الذي يلتهم تسعة أعشار المحصول ليس له بهذه الأرض  
من صلة إلا أنه ورثها عن جد وضع يده عليها غضباً بعد ما رفع عنها يد صاحبها  
الأصيل الذي ربما يكون مات من الحرمان والضياع ! ! فهل هذه الملكيات  
هي التي يمنع فضيلة المفتي تقييدها ؟ والتي يوصى بقتل الصائل عليها ؟ وهل هذا  
حكم الله ورسوله في الأوضاع التي تسود بلادنا ؟ ومن الغريب أن فضيلة المفتي  
يقر التفاوت بين الملاك مستشهداً بهذه الآية « ولكل درجات مما عملوا  
وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » كأن الغنى في مصر يرجع إلى كثرة العمل  
والفقر يرجع إلى طول القعود ، وليت الأمر يكون كذلك إذن لشقيت طوائف  
سعيدة وسعدت طبقات منكودة ! إذن لسعد الفلاحون والعمال وهلك  
القاعدون من أرباب الأموال . . إن هذه الآية التي ساقها القدر على لسان  
فضيلة المفتي تؤيد النزعة الاشتراكية التي تجعل درجات الناس في المجتمع على قدر  
ما عملوا . فهي في الحقيقة تؤدي إلى عكس ما يريد أن يؤيده من النظام  
الرأسمالي القائم . وليس من الحكمة على كل حال أن نترك صاحب الحق  
المغتصب يجوع ويعرى وصاحب الحق المكتسب يلهو ويلعب ثم نقول  
لهساكين المظلومين هذه الآية « ولا تمننوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . . »  
إذ لا سياق لها هنا قط . . . إن الآيات القرآنية لا ريب فيها . والأحكام الفقهية  
لا غبار عليها . ولو أنا نكتهبها لسكان المريخ ما كان علينا بأس ولكن  
الفتوى يقرأها سكان الشرق الأوسط الذين طالبت انجلترا بتحسين أحوالهم

الاقتصادية مخافة أن تجد الشيوعية بينهم مرتعا خصيبا ، فهل يقف رجال الدنيا مع مبادئ الإنصاف ويتمهل رجال الدين ؟ وإذا قلنا إن الإسلام يرفض تأميم المرافق العامة ويمنع تقييد الملكية ويكره وضع قيود كيت وكيت على المال . فأى إصلاح يقدمه أهل الدين للناس بعد هذا الموقف ؟ إن ذلك يذكرنا بموقف البخيل الذي قال لضيفه : سليم ما تكسر ومكسور ما تأكل وتفضل إلى الغداء !! فإذا يأكل الضيف المسكين بعد هذا الشرط إلا أن يأكل بعضه . ؟! وماذا تأكل الشعوب بعد تمنيات الخير المجردة التي يقدمها المفتي إلا أن تأكل بعضها . ورحم الله أمير المؤمنين عمر يوم قال : ولا تمنعوا الناس حقوقهم فتكفروهم . . نعم فإن أكثر ما أصاب الإنسانية من كفر يرجع إلى دفن الحقوق تحت ركام من المظالم . وعدم قيام الدين بحركة إيجابية جريئة تتفق مع أصوله العريقة وفقهه الصحيح وتنقذ الناس باسم الله العلي الكبير . .

### هذه آراء شخصية

يعلم فضيلة المفتي ونعلم أن الاحتكار حرام . غير أنه يذهب إلى أن الحالة الاقتصادية في مصر لا احتكار فيها ومن ثم فلا حرمة على الأثرياء ولا حرج على أملاكهم الضخمة !! ويقول في الدفاع عن الطبقات الكبرى « .. وليس هناك طبقة تحول بقوتها بين الناس وأسباب الغنى والثراء وتمنعهم بحولها من التملك والشراء وليس هناك احتكار من أحد للثروة بالمعنى المفهوم من الاحتكار » ولما كان هذا الكلام ليس من قبيل الإفتاء العلمي الذي يعتمد على نص أو قاعدة فقد اعتبرناه رأياً شخصياً فحسب . أما نحن فنرى بعد الرجوع إلى مصلحة الإحصاء في مسألة الأرض المزروعة وبعد مراجعة عقود الشركات في الإنتاج المعدني والأشغال التجارية والصناعية وبعد استعراض المرافق العامة

يعلم فضيلة المفتي ونعلم أن الاحتكار حرام . غير أنه يذهب إلى أن الحالة الاقتصادية في مصر لا احتكار فيها ومن ثم فلا حرمة على الأثرياء ولا حرج على أملاكهم الضخمة !! ويقول في الدفاع عن الطبقات الكبرى « .. وليس هناك طبقة تحول بقوتها بين الناس وأسباب الغنى والثراء وتمنعهم بحولها من التملك والشراء وليس هناك احتكار من أحد للثروة بالمعنى المفهوم من الاحتكار » ولما كان هذا الكلام ليس من قبيل الإفتاء العلمي الذي يعتمد على نص أو قاعدة فقد اعتبرناه رأياً شخصياً فحسب . أما نحن فنرى بعد الرجوع إلى مصلحة الإحصاء في مسألة الأرض المزروعة وبعد مراجعة عقود الشركات في الإنتاج المعدني والأشغال التجارية والصناعية وبعد استعراض المرافق العامة

ومعرفة الأيدي التي تديرها . وبعد المقارنة بين حالة الشعب المصرى ومتوسط دخل الفرد فيه وبين حالة الشعوب المماثلة له . وبعد استقراء التاريخ الاقتصادى لمصر الحديثة فى القرن الأخير . . رأينا أن الثروة القومية فى مصر مصابة بأخيث احتكار يمكن أن تنكب به أمة وأنه ليس أمراً طبيعياً أبداً أن تعيش جبهة الشعب فى مستوى منحط عرفت أم العالم بالتواتر حقيقته وعيرتنا به لولا أننا نسارع الآن إلى التخفيف من شروره . إن هذه الفوضى الاقتصادية التى أفرغت المصلحين كافة ليست كما يقول فضيلة المفتى ترجع إلى « نواميس طبيعية وسنن اجتماعية قضت بتفاوت الناس فى القوى والمدارك والعمل والإنتاج . . . . . ولهذا التفاوت آثاره الطبيعية فى الكسب والتملك . . . . . وليس وجود طبقة عاجزة عن التملك بطريق الشراء ميسوغ حسابان القادرين عليه مخنكرين . » !

كان الذين امتلكوا ملايين الأفدنة فى طول البلاد وعرضها أخذوها بطريق الشراء المقترح . الشراء الذى يعجز عنه الآن بعض الناس !

فى فى ماء وهل ينطق من فى فيه ماء ؟ !

إن فضيلة المفتى أكرم عندنا من أن يدافع عن قوم هو يعرف أن أرضهم لم تخرج زكاة منذ ملكوها ، فلو أخذ منهم ما تجمد عليهم لبيعت أرضهم حساب الفقراء . ولم هذا الرفق كله بأناس لم يعرف عنهم فى الحرام إلا تبذير السفهاء ، ولم يعرف عنهم فى الحقوق إلا بخل اللؤماء ، ولم يعرف لأموالهم نسب إلا نسب اللقطاء . وفضيلة المفتى يعلم أن رسول الله صلوات الله وسلامه عاقب من امتنع عن إيتاء الزكاة مرة واحدة بمصادرة نصف ماله فكيف الحال مع أغنيائنا الذين امتنعوا عن أداء الزكاة فلم يدفعوها إلى فقير قط ؟ أليسوا جديرين بأن تصادر أملاكهم كلها ؟ أو ليس تذكيرهم بهذا الحكم أولى من تحريضهم على قتل الصائل على المال ؟ أم أن فضيلة المفتى يرى السكوت على

AMERICAN UNIVERSITY IN LIBRARY  
AMERICAN UNIVERSITY IN LIBRARY

منه  
منه  
منه



هذه الحال ، ويؤثر أن يكتب للبؤساء المحرومين كلاماً يخضد به شوكتهم تحت  
 عنوان « الفقير المحبوب » !! إن هذا مالا نرضاه تصويراً لموقف الإسلام الحق  
 من هذه المصائب الخائفة بالشعوب . . .

*Dispositifs de la variante  
 avec les variantes  
 dans*

## إيجار الأرض

جاء في السنة نهى عن اختزان لحوم الضحايا ، وجاء كذلك حكم بإباحة  
 اختزانها ، وفسر الرسول الحكيم الأول بأن الناس كانت بهم أزمة وحاجة ،  
 فحرم ادخار اللحم في أوقات يحتاج الناس فيها للضرورات العاجلة ، حتى إذا  
 زالت هذه الملبسات أبيح الادخار لمن يشاء ، وكلا الحكمين موقوت بملاساته  
 يحرم الادخار أيام الأزمات ويحل في غيرها . وذلك معنى النسخ في هذه المسألة  
 وجاء في السنة نهى عن تأجير الأرض لزراعتها ، وثبت ذلك عن الرسول صلوات  
 الله عليه وسلامه : « من كانت له أرض واسعة فليزرعها أو يمنحها أخاه  
 ولا يؤجرها إياه ولا يكرهها » .

ثم جاء كذلك في السنة ما يفيد إباحة تأجير الأرض بثمن معلوم ،  
 أو بنصيب من ثمراتها ، ونحن نقول في كلا الحكمين الواردين ما قيل في لحوم  
 الأضاحي سواء بسواء . كان بالناس جهل فكره الرسول العظيم أن يخضع  
 كبار الملاك لنزعات الأثرة ، وأن يميلوا إلى مضاعفة أرباحهم على حساب  
 استغلال المحتاجين ولو كان هذا الاستغلال عن طريق لاشيء فيها ظاهراً . ومن  
 ثم حرم المزارعة والمواجرة . فلما زال ما بالناس من جهل وتكاثر على المسلمين  
 موارد الفئ ، وتدققت أسباب الغنى لم يعد للتحريم موضع فسخ وأبيح للناس  
 هذا النوع من المعاملة ، وكلا الحكمين مرهون بملاساته كما في حالة الأضاحي  
 التي ذكرناها آنفاً . . . ونحن لانزعم أن إجماع العلماء منعقد على هذا التأويل

الحسن . أو أن هذا هو التعليل الفرد الذي فسروا به اختلاف النصوص  
ولكنه تفسير على كل حال أصدق وأقوى مما قيل قديماً ونقل للناس في هذه  
الأيام على أنه هو وحده الفقه ! .

ولوراجع المحقق المنصف جملة الآثار التي رويت في هذا الموضوع لما  
وجد مناصراً من هذا الرأي الذي ذهبنا إليه .

وعلى هذا فإن العلاقات بين الملاك والمستأجرين تخضع في تكيفها للحالة  
الاقتصادية العامة . وتستطيع أية حكومة باسم الإسلام أن تتحكم في قيمة  
الإيجار رفعاً وخفضاً ، أو أن تجعله إيجاراً اسمياً إلى حين ، فيزرع المالك طاقته  
وتتصرف الحكومة في الفاضل عنها فتتمكن الفلاحين من زراعته لحسابهم  
برسم محدود يحفظ للمالك الأصيل حقه في ملكه ثابتاً لا شبهة فيه — وإلى أن  
تنكشف عن الناس الضوائق تعود الإباحة المطلقة للإيجار والمزارعة .

وهذا الذي شرعه الدين الحنيف لاستغلال الأرض اقتربت النظم المدنية  
منه قليلاً في استغلال المساكن ، فأعطت الحكومات نفسها حق تقييد  
الإيجارات لبيوت السكنى . وكلا التقييدين يخرج من نبع واحد ، هو رعاية  
المصلحة للطبقات المحدودة الدخل والجمهور الفقير من الفقراء والمساكين ! .  
فلماذا نحاول بالفتوى تجريد الإسلام من هذه الفضيلة ؟؟

## اتجاهات اشتراكية يقول بها الإسلام

### ولا تقول بها الرأسمالية

قال الإمام الجليل ابن حزم : « وفرض على الأغنياء من كل بلد أن  
يقوموا بفقرائهم . ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ولا فيء  
سائر أموال المسلمين فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ،

بالحق  
في  
الدين  
الاسلام  
بالحق  
في  
الدين  
الاسلام

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO  
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

من

ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكتنهم من المطر والصيف  
والشمس وعيون المارة !! . »

ثم ذكر ابن حزم من الدلائل على ذلك ما بسطنا كثيراً منه في كتاباتنا  
السابقة ، وكان فيما رواه قوله : « صح عن أبي عبيدة بن الجراح وثلاثمائة  
من الصحابة أن زادم فني ، فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم في مزودين ،  
وجعل يقوتهم إياها على السواء !! . »

فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة لا مخالف لهم منهم . هذا وقد سخر  
ابن حزم ممن يقول : نسخت الزكاة كل حق في المال ، ولم يجعل لأبيهم  
ولا لروايتهم قيمة ، ويرى أن المسلم المحتاج يقاتل لسد حاجته . ولا يباح له أكل  
الميتة مادام هناك فضل طعام عند مسلم أو ذمي . قال : « فإن قُتل فعلى قاتله  
القيود والقصاص — وإن قتل المانع . فإلى لعنة الله ، لأنه منع حقاً وهو طائفة  
باغية : « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفيء إلى أمر الله » .  
ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق . هذه هي روح الإسلام ، فأين من  
هذا الكلام المشرق بأدلته ما يقال اليوم لأغنياء المسلمين وهم يعيشون في أشد  
الشعوب حاجة ، ويكسبون من أظهر الأبواب ريبة ، ويقعدون عن أكبر  
الواجبات المطلوبة ثم يقال لهم — والحالة هذه — : « دافعوا عن أموالكم  
من قتل دون ماله فهو شهيد » . إن هذا المسلك وضع للنصوص في غير  
مواضعها ودخول للبيوت لا من أبوابها ولا من نوافذها ، بل من فجوات  
تصنع في جدرانها .

يجب أن يكون هدفنا الفذ : أن نخدم الإسلام وحده . فليس من  
الإنصاف للدين ولا من الاحترام للحق ، أن نحارب الرأسمالية لنخدم الشيوعية  
أو نحارب الشيوعية لنخدم الرأسمالية . بل يجب أن تقسم عداوتنا قسمة عادلة

في خصومة الشيوعية الكافرة والرأسمالية الفاجرة معاً . ولذلك سنحارب بقوة وعزم من يناصرون الشيوعية ، ومن يحاربونها ليدعموا المظالم الرأسمالية ، ولن تأخذنا هوادة في منابذة الجميع على سواء .

وقد اختلطت على العامة أسماء المذاهب الاقتصادية ، ولكن العامة إن عذروا فلا عذر للخاصة فالشيوعية شيء غير الاشتراكية وغير الرأسمالية . بل إن عدااء الروس الحمر للاشتراكية أشد وأقسى من عدائهم للرأسمالية . فهذه تحمل عناصر فنائها : أما الاشتراكية فمنافس خطر أمام ما في الشيوعية من تطرف وإلحاد .

## الحلال والحرام

إذا أحلّ الإنسان الحلال وحرم الحرام واتفق الشبهات ، فقد استكمل إيمانه واستبرأ لدينه وعرضه ، وأحكم الحصار على دسائس شهوته وجماح طبيعته أما إذا فعل ما يهوى وترك ما يثقله واعتدى حدود المباح وانتهك حرمت الله ، فهو حيوان ذميم أو شيطان رجيم . وقلما يبقى معدن الدين في قلب استحوذ عليه الهوى واستقل بتصرفه الشيطان . كالإناء الواحد إذا دخل فيه الماء خرج منه الهواء .

والقلب الإنساني لا يجتمع فيه باعثن متنافران ولا يصدر عنه مسلكان متضاران .

والإسلام يدير شئونه التشريعية كلها على الحلال والحرام ، ويوجب أن تقوم الحياة على رعاية هذه الأصول الدقيقة . وإن كانت الطبقات المأكولة — في الشرق الإسلامي — هي وحدها التي تستمع في المساجد للوعظ العام في الحلال والحرام ! فإذا أطاعت ما سمعت نفذته في دائرة القروش والمليّات .

أما الطبقات الآكلة فلا تبالي ما تفعل وما تترك ، واعلمها تستغرب أن يسألها الدين عن كل حجر في تلك القصور المشيدة وعن كل قيراط من هذه الأرضين الزاهرة ، أمن حلال هو أم من حرام ؟؟ .  
والحق أن هذا التساؤل من صميم الدين ، ولا يُعَدُّ المجتمع نقياً نظيفاً إلا إذا فسّر تصرفاته المالية كلها تفسيراً لا خفاء فيه ولا مواربة . . بل إن هذا أقل ما يتصور في دين يرفض العبادة من شخص يأكل الحرام ، ويقول «أبما لحم نبت من سحت فالنار أولى به !!»

### حرب لا هوادة فيها على كل كسب مريب

لم يستثن الإسلام بشراً من ضرورة الرضوخ لأحكام الحلال والحرام ، وتحرى الأرزاق الطيبة في إقامة المعاش . . . الخاصة من الأنبياء والعامّة من المؤمنين موقوفون جميعاً عند هذه الحدود التي رسم الله لعباده ! . « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : « يا أيها الرُّسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » .

وذكر النبي صلوات الله عليه وسلامه الرجل — من طلاب المال بأية وسيلة — يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذاه بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ » .

إن جامعي الثروات من الغصب والسرقه والرشوة واستغلال النفوذ قوم محرومون من عناية السماء وإن كانت لهم في الأرض وجاهات . وكثير منهم قد يغطى هذه السيرة الدنيئة بركعات يؤديها وكلمات طيبة يرددّها ، وهيئات

فإن الإسلام يسأل المسلم - إذا وقف بين يدي ربه مصلياً - عن الأرض التي وقف عليها ، وعن الأكل الذي يملأ معدته ، وعن اللباس الذي يكسو بدنه ، أكل أولئك - أولاً - من حلال أم من حرام ؟ . فإن كان من سحت لم تقبل له صلاة . . . وفي ذلك يقول الرسول الكريم : « والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقتذف اللقمة الحرام في جوفه ، ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً » :

ويروى عنه كذلك : « أنه من أصاب مالا من حرام فلبس منه جلباباً لم تقبل صلاته حتى ينحى ذلك الجلباب عنه . إن الله أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام » . .

فكيف إذا أحاطت سوائه ألقاف موشاة نسجت خيوطها من أرزاق الكادحين ، وحقوق المحرومين ؟ . وكيف إذا لم يملأ خوفه من حرام فحسب بل اكتنز وادخر ما يكفي لملء بطنه ألف ألف مرة ؟ .

إن استفتاء الإسلام في هذا ليس بالشيء الذي يتطلب البحث في المجلدات ! واستقراء الصحيح والضعيف من الأخبار والروايات .

\*\*\*

لقد طالبت بعض الهيئات السياسية والدينية « كرابطة المستقلين » وحزب « مصر الفتاة » وجماعة « الإخوان المسلمين » بتقييد الملكيات . واقترحت للثروة الزراعية حداً أعلى من الأفدنة ، على أن يؤخذ ما زاد بثمن تدفعه الدولة على آجال بعيدة المدى ، ثم يوزع على العمال وصغار الملاك .

ونحن ندع للراشدين من ساسة الأمة رسم الحدود العليا والدنيا للأملاك كما ندع لهم تقدير الثمن الذي يرونه لما زاد فيها . وغاية ما نلفت النظر إليه أن للإسلام حكمه الحاسم في الأساليب التي كونت بها إقطاعيات كثيرة . وقد

بدت في الأفق تبشير رائعة تنبئ بأن الدولة ستحاسب كثيراً من الوزراء  
والموظفين عن أموالهم؛ كيف جمعوها؟ .

وقيل إن الأثر الرجعي لهذا القانون سيمتد عشر سنين إلى الوراء، فإن  
كان القانون المدني قد قرر مطاردة الجريمة والمجرمين في حدود ضيقة من  
الأعوام والأشخاص فلا يجوز أن ننسى أن القانون الإلهي في حسابه الشامل يحد  
الأعوام قروناً، ولا يأخذ مجرماً ويترك آخر. ولن يعجزنا التنفيذ العملي  
لهذا التشريع العادل الرحيم... إن أردنا التنفيذ...

### مصادرة تامة... لحساب الفقراء

وثبت هنا رأى الإمام الغزالي في الكسب الحرام — إذا تناقله الورثة —  
وكيف يتخلص منه شرعاً. قال رضى الله عنه :

« مسألة : من وراث مالا لم يدر أن مورثه من أين اكتسبه... أمن  
حلال أم من حرام — ولم يكن ثم علامة — فهو حلال باتفاق العلماء...  
وإن علم أن فيه حراماً، وشك في قدره، أخرج مقدار الحرام بالتحري...  
وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم، فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد...  
وقال بعض العلماء : لا يلزمه والإثم على المورث !... وكيف يكون موت  
الرجل مبيحاً للحرام المتيقن المختلط؟ . ومن أين يؤخذ هذا؟ .

« فإذا أخرج الحرام فله ثلاث أحوال : إما أن يكون له مالك معين  
فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه . وإن كان غائباً ينتظر حضوره ، وإن كانت  
المال زيادة منفعة تجمع فوائده إلى وقت حضوره . !  
« وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه . .

فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك . وربما لا يمكن الرد لسكثرة الملاك — كقول  
الغنيمية بعد تفرق الغزاة — فهذا ينبغي أن يتصدق به .

« وأما المال — الموروث ظلماً — من الفئ ، ومصالح المسلمين فيصرف  
إلى القناطر والمساجد . . . الخ التي يشترك فيها المسلمون ليكون نفعه بينهم  
عاماً . وينبغي أن يتولى ذلك القاضي فيسلم إليه المال . فإن قيل : كيف يجوز  
التصدق بما هو حرام — والصدقة لا تصح إلا من كسب طيب ؟ فنقول نعم  
وإنما اخترنا خلافه ، لأن الرسول أمر بالتصدق بالشاءة المصلية التي قدمت له  
لما علم أنها من حرام .

« ولأن الحسن سئل عن توبة الغال . فقال : يتصدق بما أخذ .

« ثم إن هذا المال بين أن يبقى مع صاحبه المزعوم وبين أن يصرف  
في وجوه الخير إذ قد وقع اليأس من ماله الحق ، وبالضرورة يعلم أن صرفه  
إلى خير أولى » . انتهى كلامه ملخصاً .

ويلاحظ على هذه الفتوى أنها ناسبت عصرها . أما اليوم فالدولة مسئولة  
عن رفع اليد الظالمة ، ورصد المال كله لمصالح الأمة جمعاء ، فالوزانة فرع  
التملك ، والسرقه لا تنقل ملكاً .

\*\*\*

ترى هل نشهد اليوم الذي تسود فيه العدالة؟ وينزل الناس جميعاً حكماً  
ومحكومين على حكم الدين؟ فلا يضيع على أحد حق ، ولا يقتصب أحد حق  
غيره ثم يترك له على مر الأيام .



منه  
كاتبه  
بسم الله  
الحق

عالم فذ . . . وفتوى رائعة

حكوا أن لصاً عدا على بيت ليسرقه ، فبينما هو يتحين الفرص لانتهاه  
 ما يستطيعه سمع أصواتاً مقبلة عليه تكاد تفضح خبيثته ، وإذا باللص الداهية  
 يصطنع لهجة رب البيت و يصيح في صوت حذر : من هناك ؟! وهذا الذي  
 يتندر به الظرفاء من حوادث اللصوص ، مثلته أصدق تمثيل الرأسمالية الجشعة  
 التي سرقت حقوق الفقراء وغصبت أموال الشعوب وطمست معالم الدين ،  
 فلما تيقظ أصحاب الحق وحراس الحقيقة وأحسوا بديبها وهي تفعل فعلتها ،  
 صاحت بهم - قبل أن يصيحوا بها - وقالت قولة ذلك اللص الأريب :  
 من هناك ؟ بل إنها أوغلت أبعد من ذلك في تمثيل روايتها فذهبت إلى قضاة  
 الإسلام تقول لهم : حدوا شفرتكم واستعدوا لإقامة حد الله وقطع يد السارق  
 الذي ضبط متلبساً بجريمته . . . !!

ومن الغريب أن بعض علماء الإسلام وقع في الفخ الهازل وانظلت عليه  
 الحيلة الماكرة ، وحسب السارق مسروقاً فأخذ يعطف عليه ويقول له ما قال  
 الرسول صلى الله عليه وسلم « من قتل دون ماله فهو شهيد » ثم حسب  
 المسروق سارقاً فذهب يلعنه ويتوعده وينال منه . . . لكن الراسخين في  
 العلم من رجالات الإسلام أصدق فقهاء وأحد نظراً وأبصر بأحكام الإسلام  
 وأقدر على تطبيقها من أن ينخدعوا بباطل أو يجوز عليهم تلبس الماكرين . .  
 ومن هؤلاء العلماء الأجلة الشيخ الإمام محيي الدين النووي رضي الله عنه  
 وإليك الواقعة التي أفتى فيها فأصاب الحق الذي تنزلت به آيات الله من فوق  
 سبع سموات .

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام ، أخذ فتاوى العلماء بأنه

سنة ١٣٤٥ هـ  
٢٤٤٥  
Bavbars

يجوز له أخذ مال الرعية لينتصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام بذلك فقال هل بقي أحد؟ فقيل نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي، فطلبه مخضرم فقال له: اكتب خطك وإمضاءك مع الفقهاء... فامتنع!! فقال ما سبب امتناعك؟ فقال الشيخ محيي الدين: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير «بندقدار» وليس لك مال، ثم من الله عليك وجعلك ملكا، وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصته من الذهب، وعندك مائتا جارية لكل جارية حُق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت ممالكك بالبنود الصوف بدلا من الحوائص... بالملابس المجردة بدلا من الأوشحة الموشاة - وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلي... أفتيتك بأخذ المال من الرعية! فغضب الظاهر من كلامه وقال له اخرج من بلدي دمشق.

فقال السمع والطاعة وخرج إلى «نوى» فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ومن يقتدى به فأعده إلى دمشق.

فأذن الظاهر برجوعه ولكن المفتي الكبير رفض العودة قائلا: لا أدخلها والظاهر بها... فمات الظاهر بعد شهر.

هذه الفتوى الدقيقة في فهمها لروح الإسلام ونصوصه، الجريئة في طريقة إعلانها وأسلوب توجيهها، تعد فخراً لعلماء الإسلام لا ريب فيه كما تعد كشافاً حاسماً للنزعة الاشتراكية التي ينطوى عليها ديننا والتي يستهدفها الاقتصاد العالمي في العصر الحديث، مع أن القصة السالفة جرت كما ترى في القرون الوسطى.

ذلك حاكم عظيم انتصب لمحاربة الممجية الجارفة التي أشاعها التتار في الأرض والتي أصاب الإسلام نفسه منها بلاء كبير وشر مستطير طوى لواء الدولة العباسية الكبرى في بغداد ثم هو يوشك أن يطوى أعلام الإسلام المرفوعة

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO  
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

١٥٠

في بقية عواصمه دمشق والقاهرة وغيرها ويريد هذا الحاكم ، باسم الإسلام  
وفي سبيل هذه الغاية النبيلة أن يستولى على ما يشاء من أموال ، وأن يصادر  
ما يريد من ثروات فيتصدى له عالم باسم الإسلام ولوجه الله ويقول له : على  
رسلك لا تلبس الحق بالباطل ، نح مظاهر الترف من حولك حتى إذا استنفدت  
ما يتمتع به الأعيان من الكماليات النافلة عدت على جمهور الشعب فصادرت  
ما عنده من ضرورات لازمة ويوم تفعل ذلك يعطيك الشعب قوته قرير العين  
كما أعطاك دمه رضى النفس . أما الافتيات على أموال الفقراء القليلة وترك  
الناعمين والمترفين يأكلون كما تأكل الأنعام فذلك ما لا يرضى به الإسلام . !  
إن الفتوى حسن تطبيق قبل أن تكون حفظ نصوص ، وما أوتيت  
الديانات إلا من حافظ غير حاذق حفظ شيئا وغابت عنه أشياء ! وهذا الصنف  
من العلماء الأبحاد أمثال محيي الدين النووي — يقطع كل لسان يزعم أن  
الدين مخدر للشعوب — كما يزعم الشيوعيون — ويقطع كذلك الطريق  
على كل محاولة دينية لاستغلال الشعوب باسم الدين وتسخيرها في مطامع  
الحكام المستبدين .

على أننا لانفى وجود طوائف من رجال الدين ألصقت بالدين تهما شتى  
وعرضته لهوان ما كان ينبغى له ، منهم من تكلم — باسم الدين — كلاما  
مغلوطا ، لأنه آخر ما وصل إليه تفكيره القاصر ، ومنهم من عرفوا الحق  
وخافوا عواقب الجهر به ، أو أخفوه بثمن من عرض الدنيا وبهجة الحياة وقد  
حمل القرآن الكريم على هذا الصنف من العلماء حملة شعواء : « إن الذين  
يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون  
في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .  
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة » . وسر هذه القسوة

٣

علم

Impressions de  
Telle des religieuses  
Séminaires  
la religion des  
102 (Kiss war)

في عقاب هؤلاء الناكسين عن إبلاغ رسالات الله أنهم جروا على الدين مطاعن  
غام — منها مستقبلة — وكان حرصهم على منافعهم الخاصة سبباً في كفر جماهير  
غفيرة برسالات السماء كلها . يقول « دالن » في كتابه « روسيا السوفيتية » :  
« من الأسئلة التي لا بد أن تخطر على بال الباحث في روسيا : كيف حال  
الدين فيها ؟ . والجواب الذي لا مريية فيه أن موقف روسيا من الدين موقف  
متقلب بين الرفض والقبول ، وبين الإذن والمنع ، ولم يبلغ قبول روسيا للدين  
ولا الإذن له ، أن يكون حد العطف أبداً .

« أما السبب فنجده في تاريخ ما قبل الثورة ، فالكنيسة المسيحية  
في روسيا لم تسكن مسيحية ، كان فيها الجهل ، وكان فيها العنف ، وكان فيها  
الخبث والظلم ، وكانت عدوً الجديد ، وعقبة التقدم ونصيرة الرجعية ! وكانت  
إلى ذلك أداة سياسية في يد القيصر وأعوانه يديرونها في مكافحة طلاب التحرر .  
من أجل هذا وقف رجال الثورة من الكنيسة الروسية وبالتمع من الدين موقفهم  
من قيصر ، فكفروا بالدين كما كفروا بقيصر ! وعادوا الدين كما عادوا قيصر  
فلم يكن (ماركس) ذا الدين ، ولم يكن (تروتسكي) ، ولا (لينين) ! .

« ولو أنهم آمنوا جانب الدين وقساوسته من بعد الثورة ما أبهوا له ،  
ولا احتفلوا به ، ولكنهم كانوا يخشون أن تتحول الكنائس إلى أوكار  
تعشش فيها مبادئ الرجعية » .

وهكذا كانت ثمرات عكوف القساوسة على إجابة أهواء القيصر ، وفراغ  
أفئدتهم من الإيمان العارم الذي أنطق النووى بمقررات له آتفاً ، خدمة للدين  
وخدمة للشعب ، كانت . . . أن كفر مئات الملايين بالدين ونبذوه وراء  
ظهورهم ، وأصبحت الأديان جميعاً لا المسيحية وحدها — تعاني أزمة قاسية ،  
فإن الكفر كالوباء الخبيث ، عدوى لا تقف عند حد . ولا شك أن الإسلام

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO  
LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

Cyprus  
Lien - la religion  
à un état social  
parvenir les plus  
diverses formes  
dans le Kafir

يظلم إذا قيس بغيره ، وطبقات المثقفين الذين لا يكثرثون كثيراً لحقائق الأديان  
يغفطون الإسلام حقه إذا حسبوا تعاليم الإسلام حكراً على حفنة من رجال  
الكهنوت يتحكمون في فهمها ويضعونها في خدمة الحاكمين ، بيد أن موجة  
الإلحاد لم تلبث حدثتها أن انكسرت وأعقب مدها جزر ، فإن النفوس لم تطيع  
على الزيف والكفران بل على العكس لقد فطرت على محبة الله والحنين إلى  
معرفته والنزول على أوامره ، والذي حدث في روسيا نفسها — على ضالة  
حقيقته . يشير إلى ذلك . . فقد قال « دالن » في مؤلفه السابق ( ثم جاءت  
الحرب فكان لا بد من تغيير السياسة نحو الدين ، إن الناس على الحياة وعلى  
الصحة وعلى الأمل في العمر الطويل قد تحتمل الكفران وتحتمل فراغ القلب  
من إيمان ، أما الموت على الأبواب . ! لن تشجع على اقتحامه قلوب خربة  
وأحصت الحكومة كم من السكان ظل يتعلق بدين ! فوجدت أن المدن  
لا يزال ثلثها من المؤمنين وأن الإيمان في القرى شمل الثلثين فكان لا بد  
للحكومة أن تنحني . »

ويظهر أن الدافع المباشر للعودة إلى الدين — إذا صححت — اعتباره  
ضرورة أخروية ! . وهذا شيء في نظري لا يفيد الدين ولا يشرفه ، إذ ما معنى  
ألا نعرف الدين إلا وأقدامنا على أبواب الموت ؟

إن الدين ضرورة اجتماعية والاعتراف بذلك لا بد منه ، والناس يريدون  
أن يؤمنوا ويريدون إلى جانب ذلك أن ينالوا في ظل الدين حظوظهم من  
العدالة الاجتماعية الواجبة ، أما تخييرهم بين قبول الظلم من يد الدين أو قبول  
العدل من يد الإلحاد .

فهذا أقيح ما يواجه الإنسانية من قسمة جائرة ، بل هو إكراه للناس على  
الكفر بالدنيا والآخرة . !

وهل وضع هذا التقسيم إلا كل مناع للخير معتد أئيم ؟ !

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

~~AMERICAN~~

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

1912-13

(٦)

دروس من السماء

## قصة أمة أرادت الحياة بلا ثمن

### فأدبتها مطارق القدر

إنها أمة واهنة القوى ، ساقطة المستوى ، كهذه الأمم المبعثرة في ربوع الشرق ، الباقية على خريطة العالم القديم ، كأنها أطلال دارسة لحضارات طال عليها الأمد ، وانقطع بها الزمن ، وأدبرت عنها الحياة ، فهي في شيخوختها العائرة تذكر ماضيها فترجو ؛ ويلحقها حاضرها فتكبو ، إنها بين اليأس والأمل ، وبين الحياة والموت ، وبين رغبتها في العيش الكريم وتعثرها في الأخذ بأسبابه ، تواجه الدنيا بأمانها ، ويواجهها القدر بدروسه ، وتنزل إلى ميدان الحياة برغائبها المجردة ، فيفاجئها الميدان بعقباته المعترضة ، ومتاهاته المحيرة . . . وقد وصلت أخيراً إلى ماتبعي ، ولكن مثل ما يصل القتي الغرّ إلى تحقيق أحلامه ، بعد سنوات طويلة تترك تجاعيدها على جبينه . وبعد أحداث قاهرات تدع ندوبها في فؤاده ، وكفاح موصول المرارة والتجهم والمصابرة ، لم يزل به حتى يغير منه كل شيء ، فكان الذي وصل إلى آخر الطريق شخص آخر غير الذي بدأ مراحلها ، ووقف على أوائله لا يعرف ما يكون ولا يلدرى ما يجبا له .

### هذه الأمم تموت حتما

من الأمة التي تقبل الخنوع وتعطي الدنية من نفسها لن تحرم من مكان تعيش فيه ، فإن سادة العالم لن يرفضوا الاستكثار من الخدم والأتباع . ولا ضير على الواحد منهم إن سخر مستعمرة واسعة الرقعة ليعيش ما فيها من حيوان وما فيها من إنسان سواسية في العمل له والفناء فيه . بيد أن الشعوب



الخادمة لغيرها ليست إلا شعوباً ماتت فيها المواهب الإنسانية العليا وارتكست فيها الملكات الذكية اليقظة ، فهي توصف بالحياة كما يصف السادة بالحياة . كلاب الصيد التي تلهث بين أيديهم ، أو أبقار الحرث التي تعمل في حقولهم ! أما هم من الناحية الإنسانية المحضة فأموات . وكل أمة تنكل عن حمل أعباء الحياة الحرّة الأبية ، وتنكص عن الإقدام في ساحات الجهاد والتضحية ، ونحشى عواقب المخاطرة والجرأة فلا بد أن تصدر عليها محكمة التاريخ حكمها بالإعدام . وهكذا بدأ القرآن يقص أبناء هذه الأمة التي فرّت من تكاليف الحياة فأدر كها الموت ! : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت ! — فقال لهم الله : موتوا » .

فحقت عليهم كلمة العذاب ، وماتوا في الديار التي عجزوا عن الدفاع عنها كما تموت الآن شعوب كثيرة في المستعمرات وفي الأمم المستقلة اسماً والمرتبطة مع قاهرها بمعاهدات ! . فلما أراد الله أن يعلم هذه الأمة كيف تحيا أشعرها أن دون نيل الحياة الكريمة بذل النفس والنفيس ، ودفع الضرائب المفروضة على الدم والمال . فقال لهم : « قاتلوا في سبيل الله . . . » . ثم قال لهم : من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له . . . » .

وهيهات أن تستطيع الأمم الخوارة دفع ذلك الثمن الغالي ! وكيف تدفعه من نفوس هي بها — في الحق — شحيحة ! ومن أموال هي بها — في الخير — ضئيلة . وبدأ القرآن يفصل حوادث هذه القصة الرائعة . فقال : « ألم تر إلى الملائم من بني إسرائيل من بعد موسى ؟ إذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ . قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا ؟ فلما كُتِبَ عليهم القتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ! واللهُ عليمٌ بالظالمين » .

## تشریح الأمم الميئة وبيان عللها

ومن هذه الآية تعرف مجموعة من أحوال الشعوب المستضعفة ، فهي تعرف  
المجد والحرية والاستقلال ولكن كتابة تملأ الصحف . وهتافاً يزعم الجوّ ،  
ومظاهرات تسيل بها الميادين ، وأكفأ يعيها التصفيق فإذا جد الجد وكشف  
الأمر عن ساق وتلفت الوطن يطلب الحماة الذين يغسلون عنه العار لم يجد أحداً  
من هذه الجموع الحاشدة . الجموع التي تفر وهي تصيح « يحيا الثبات على المبدأ »  
وقد كان زعيم هذه الأمة خبيراً بشئونها فلما تجمروا حوله وغلبتهم فورة الحماسة  
فضاحوا : نريد القتال ، الويل للغاصبين ! قال لهم : - في تثبت المرتاب  
ولهجة الخائر - « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ » فازدادت  
هتافاتهم حدة ولوحت أيديهم تهديداً . سندافع عن بلادنا إلى آخر رمق !  
فإما استقلال تام وإماموت زوام « وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا  
من ديارنا وأبنائنا » .

فلما حانت الساعة الفاصلة ودق النفير العام لم تر ساحة الجهاد إلا علماء  
ينشره النسيم ويطويه على حفنة من الرجال ! هم بقايا الجماهير التي طلبت  
بالأمس الجهاد ثم صغرت منهم اليوم ميادينه « فلما كتب عليهم القتال تولوا  
إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين » .

\* \* \*

سماع القرآن ظالمين مع أنهم مظلومون فكيف جازت هذه التسمية ؟  
إن الظلم نوعان : ظلم الإنسان لنفسه وظلمه لغيره . وكثيراً ما يكون النوع الأول  
عاملاً ممهداً لوقوع النوع الثاني فالذي يقبل الذل والانحناء يفرى الآخرين  
بالبغي والاعتداء ! ولما يقع العدوان على ذى أنفة وحمية ، فإن الباغى يعرف

la main accusée  
هو الموضوع  
الذليل

أن خسائره من وراء ذلك العدوان أضعاف أرباعه — إن كان هناك ربح  
 يجتني في مثل هذه المعركة — وقلما تتحرك الجيوش للهجوم إلا على أمة  
 يرجى منها أن تسلم وتلين ، ولذلك كثرت حروب الاستعمار في الشرق وحده  
 وصدق القائل :

أنصفت مظلوما فأنصفت ظالما في ذلة المظلوم عذر الظالم !  
 من يرض عدواناً عليه يضيره شر من العادي عليه الغاشم !  
 وسواء كان شراً منه أو دونه فهو ظالم لنفسه . وسياق الآية هنا يؤكد  
 هذا المعنى ، ويحمل الأمم النائمة على المظالم أوزار ما تقاسى وتعانى .

### زعماء بملك النصاب

*Ne compte de l'union  
 intervenant réalisée sur  
 la base de la justice et de la  
 solidarité*

وجرثومة الذل كجرثومة الوباء ، تنتشر عدواها انتشار النار في الهشيم  
 حتى تخامر كل شيء ، فمظالم الاحتلال الخارجي تسند لها مظاهر الانقسام  
 الداخلي وهذا الانقسام يتوزع الأمة طبقات متنافرة يعلو بعضها بالجاه ، ويهبط  
 بعضها بالفقر ، وعند ما يكون الرجل قوة ألف ثور يملكها وألف حصان يركبها  
 وألف فدان يستغلها فقد ترشح للزعامة ، وكان حقاً أن تعنو له الجباه وأن يشار  
 إليه بالبنان ! وساد هذا التفكير المريض الأمة المستضعفة فجاء سرايتها يقولون  
 للرجل الذي ساقته العناية لإيقادهم : لقد صممنا على الجهاد من أجل حريتنا  
 المفقودة فاختر لنا القائد الذي يلم شملنا ، ويركز قوتنا ، ويكسر بنا عدونا ! .  
 فقال لهم الرجل الملهم : ما دمتم قد صدقتم العزم فقد سنحت لكم الفرصة  
 وقد هيأت لكم الأقداراً كفاً رجل يحقق لكم أهدافكم ، واشربت الأعناق  
 لترى القائد الكبير ، فإذا بهم يرون « طالوت » ! . ومن طالوت هذا ؟ لقد  
 عرفوه رجلاً لا يملك من حطام الدنيا إلا عقلاً ذكياً ، وجسماً قوياً ، ويقال  
 إن له مواهب غالية ! .

وما قيمة هذه المواهب إلى جانب القناطر المنظرة من الذهب والفضة عند فلان وفلان ممن يجلون ويققدسون؟ وورمت أنوفهم أن تخضع لزعيم من أبناء الشعب، وهم الذين طالما مرغت أنوفهم في التراب، خضوعاً للزعماء الأجانب! وأنى الله إلا أن يُكرههم على الحق، وأن يرغمهم على احترام المواهب وحدها: « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا: أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا؟ - وَتَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؛ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ - قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

في ميزان الحقائق يرجح الناس بالكفايات والأعمال، لا بالوجهات والأموال، وهذا منطق عادل، غير أن دون تطبيقه عوائق كثيرة من طبائع الناس أنفسهم ومن طبائع الأحوال الاجتماعية التي يعيشون فيها. ولذلك قلما يرجع إليه الناس فإن العيون المجردة يأخذها منظر الهامة والقامة. وقد ينضم الذكاء القليل إلى مظاهر الوسامة والفخامة فيجعلك تطرق هيبة، ويجعل من العسير عليك أن تحرك لسانك ببيت الشاعر الجري .

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم

جسم البغال وأحلام العصافير

وهذا البيت الحكيم لم يبلغ « فرعون » ولعله لو بلغه لاتهم قائله بالتحافة والضعف! فإن فرعون قبجه الله - كفر بموسى؛ لأن موسى لم يدخل عليه في زينة الملوك وأبهة المترفين فقال للناس في تبرير اعتزازه بنفسه واطاوله على نبيه « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ؟ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ... » والمنطق القرعوني في مقياس الحقائق يملاً أدمغة الكثيرين

حين ينظرون لأنفسهم وحين ينظرون للناس . . . وقد رأيت الكثيرين من قراء المواهب يشعرون بالسخطوة الفارغة مدفوعين إليها بقوة الدرجات التي يوضعون فيها والمكاتب التي يجلسون إليها والتليفونات التي يثرون معها . . بل بالأطعمة التي يتناولونها . وتلك آفات تصيب الأمم عند ذهاب ريجها وانهايار حضارتها . وهذه أمة « طالوت » كانت تريد رجلا صاحب مصرف يقرض منه بالربا أو يراهن به في ميدان السباق — شأن اليهود في تفكيرهم — ويريد الله لهم رجلا صاحب مصرف أخلاق يهب منه الفضائل للمعدمين ، وينفق من أرصدته التي لا تنفى حتى يسترد النصر للمظلومين . فإن الرجولة بجوهرها الحر لا بقشورها التي تطير مع الريح ، فليفهم ذلك الجاهلون .

### في ميدان المعركة

Valau di  
نيلتيمند

واستعد القائد اللبيب لمنازلة الاستعمار في معركة فاصلة يحرر بها شعباً مسترقاً وينقذ أمة مسروقة فكيف ينتقى الرجال الذين يخوضون معمعاتها ؟ . إن القلة النشيطة أفضل لديه من الكثرة العاطلة ، وقد عرف طبيعة الأمة التي يحارب من أجلها . إن فيها كثيرين يسرهم الاكتئاب في الجيش الخارج ايظهروا في الاستعراضات الفخمة ، وليرتدوا الملابس الأنيقة ويمتطوا الخيول الراقصة فإذا التقى الجمعان كان أ كذب الناس عند اللقاء أوجههم في مبادين العرض المسلم والمناورات التمثيلية ، فهل يأخذ رجاله من هذه الأخطا الفاشلة ؟ كلا ! إذا كيف يتخلص من الأذعياء الذين يضرون أكثر مما ينفعون ؟ إن أحلام الحرية في ليالى الظلم والأسى تسهل على الأكثرين ، لكن حقائق الحرية في أوقات الجسد والغذاء تصعب إلا على الأقلين ؛ فلا بد أن يمتحن من يخرجون معه بحنة قاسية ترد أكثرتهم العاطلة قلة عاملة ! ! فما كاد يفصل بهم

ويتجاوز حدود الوطن السهل اللين ويتعرضون جميعاً لوعناء الطريق ، وحرارة الجو ، وغبار السفر وجفاف الرحلة الشاقة حتى أصدر القائد أمره الغريب : سيصادفنا الآن نهر عذب ، على كل جندي مخلص أن يستمع إلى أمر القيادة العامة بعدم الشرب منه - لكن أبناء الأعيان الناعمين الذين اعترضوا أول الأمر - على قيادة طالوت وكذلك من على شاكتهم ممن حسبوا الحرب رياضة ممتعة وسفراً لذيذاً ، رفضوا الانصياع لهذا الأمر ، وآثروا ترك الجيش وقائده « فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده ، فشرى منه إلا قليلاً منهم » ! .

واستراح طالوت إلى هذه النتيجة التي كان يتوقعها واعتبرها أول تبشير الخير ، فقد انفصلت عنه في هدوء الصفوف التي كانت ستسلم سيقانها للريح عند الصدمة الأولى مع الأعداء ! فتشيع الهزيمة في فرق الجيش كله . غير أن أصحاب طالوت راعهم أن يتضامل الجيش الجرار إلى هذه القلة الهزيلة . فما عسائم يفعلون مع خصم يفوقهم عدة وعدداً ؟ وأبدوا تهيبهم من مواجهة الموقف على هذا الوضع ! لكن هذه البقية المؤمنة لم تخل من رجال رسخوا في الحق وذهلوا عن كل شيء إلا نصرتهم ، وافترضوا كل رأى إلا التراجع بعد هذه الامتحانات المتتالية . ومات في دماهم كل طمع إلا الأمل في النصر أو القبر : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . . فهزموهم باذن الله » واسترد الشعب المظلوم حر ياته المفقودة في ميدان الكفاح وحده . بعدما أفالست وسائل الهتاف والتهريج في إفادة أي ربح ، فهل من مددٍ كره ؟ .

## إلى قوارين العصور الحاضرة

قصة قارون القديم

### العصاميون والعظاميون سواء

للغنى والجاه نشوة تفعل بالرءوس فعل الخمر عندما تطيش بالباب السكارى  
ثم تصور لهم الدنيا أشباحاً متراقصة ، وحقائق متقطعة ، ووقائع لا يمسكها  
العقل إلا كما تمسك الماء الغرايل ! . وللأغنياء المتخمين نظرة خاطئة نحو سواد  
الناس . . نظرة تبدأ من القمة التي وضعوا أنفسهم فوقها وتهبط إلى السفوح  
التي تزدحم الجماهير عندها . يستوى في هذه النظرة من ورثوا المجد ومن كسبوه !  
كلاهما يقول : « إنما أوتيته على علم عندى » ، كما قال قارون رداً على قومه  
لما حاولوا إيقاظه من نشوته ، وإيقاظه من سكرته .

العصاميون هؤلاء ولدوا وولدت معهم الغشاوة الضاربة على عيونهم ،  
لأنهم — وهم في المهد يبولون في لغاتهم — كانت ترمقهم العيون بالإجلال ،  
وتناديهم الأفواه بالتدليل ، وتحيط بهم الخدم ، كما يحيط السدنة بالصنم !  
فأنتى هؤلاء إذا كبروا أن يبصروا الحق ، ويحترموا ، الخلق ؟ .

والعصاميون من هؤلاء ينبتون من صميم الطبقات السكادحة ، فإذا نمت  
دوختهم ، وعظمت شوكتهم ، لم يلبث النسيان — الذى أدرك أبانا آدم  
فأخرجه من الجنة — أن يدركهم الآخرين ، فإذا بهم يتسكرون لأصلهم  
القديم . ألم تر إلى « نابليون » كيف بدأ فقيراً ثم تحول امبراطوراً ، وكيف  
ذبح مليوناً من الجنود في معاركه التى أشعلها لتدعيم مجده الشخصى ؟ . .

د. محمد  
عبدالمجيد  
عبدالمجيد

كم تشقى الشعوب عند ما تستبد نشوة الجاه الكاذب بكبرائها . . . . .  
 وهم يحتاجون  
 هؤلاء الخمورون بكثرة المال إلى من ينعكس رؤوسهم ، ويقلب أوضاعهم ،  
 كي يقيثوا ما بخزائنها من كنوز ، مثلما يحتاج السكير إلى من يقلبه ظهراً  
 لبطن حتى يفرغ ما بمعدته من سوائل ونجاسات ! فإذا تم ذلك اعتادت  
 الرؤوس المائلة ، وتنبهت الأفكار الغافلة . . . . . وتلك عظة نستخلصها من قصة  
 قارون ، إذ قال الله فيه : إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم  
 من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح  
 إن الله لا يحب الفرحين .

### ضوابط

د. محمد  
عبدالمجيد  
عبدالمجيد

وقد تسأل : ما سر النهي عن الفرح ؟ ولم يكره الله الفرحين ؟ . . . مع أن  
 بشاشة النعمة تدع الوجوه نضرة ، والشفاة مفترة . . . . . طبيعة تلك في النفوس  
 لا يمكن تغييرها ! . والجواب أن هناك نوعاً من الفرح الخبيث أشرب روح  
 البطر ، واختلط الشعور به بمشاعر أخرى من التمرد والانطلاق من كل قيد ،  
 ودفع أصحابه إلى الاستغراق في المتع العاجلة ، فهم لا يعرفون إلا لذاتهم  
 المجردة وإلا السعى الدائب لإشباعها .

ويقابل هذا النوع من الفرح البطر ، الحزن اليأس الذي يوصد أبواب  
 الضيق على من يصابون في الحياة بأية كارثة فيتركهم لا يستطيعون حراكاً  
 ولا ينتظرون فكاً ، ولا يرب أن كلا الأمرين يضير الحياة البشرية  
 ويشيع فيها القوضى الاجتماعية ، فضلاً عن أنه جهالة بقوانين القدر التي ترجع  
 إليها أمور الناس في الأفراح والأحزان جميعاً ، ومن ثم ندرك معنى قول الله  
 عز وجل « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
 كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » .

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO



هذا الفرح الذي تصدر عنه مظاهر الخيلاء والكبرياء ، والذي تنبعث منه عوامل الإفساد للبلاد والعباد ، هو الذي نهى عنه قارون ، ثم وجهت له بعد ذلك النصيحة المترتبة على حسمه : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ <sup>من</sup> الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » .

ونم شيء آخر لا يجوز إغفاله في تنظيم المجتمع الإنساني ، أن تنعم قوم ليس معناه إشقاء آخرين ، وأن تسعير المواهب العليا يا كرام ذويها لا يستلزم تجويع سائر الطوائف الأخرى وإهانة بنيتها ، ولماذا يقع في وهم الناس أن تكريم شخص مبنى دائماً على تحقير شخص آخر إن الله تبارك وتعالى فاوت بين الناس حقاً فيما آتاهم من ملكات عقلية وقوى أدبية ومادية ، وقد أمرنا أن نرعى ذوي الكفايات وألا ننقصهم أقدارهم لكنه ضم إلى ذلك أن الناس جميعاً يربطهم نسب واحد وتقرّب بينهم أواصر مشتركة وأن تجاهل هذه الحقيقة قطع لما يجب وصله ولذلك قال : « لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ . . . وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا » ! وعندما حاول قارون أن يستند إلى مواهبه المزعومة في تبرير عظمته وتسويق أهبته والانتفاخ بماله وجاهه قال . « إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي . . . » وليكن ما قاله قارون صحيحاً ، فهل تسعير علمه هذا وإعطاؤه حقه لا يكون إلا بالبقى على قومه والاستعلاء فيهم ؟ . « أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَعْمًا ؟ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ » .

أجل إنهم لا يُسألون عن ذنوبهم لأن إجابتهم المحتملة حاضرة لدى كل سؤال ، وهذا النوع من الجرائم جرّام الكبر والغطرسة والإفساد يستند إلى وجهة نظر ثابتة أبداً عند مقترفيه ، إنهم مستكبرون في أنفسهم محقرون

لغيرهم لأنهم في قمة الحياة وغيرهم في سهولها ، ولأنهم سعدوا في الدنيا باستحقاق ذاتي موهوب وغيرهم شقي فيها لأنه أهل لذلك ولما دونه !! ورد هؤلاء إلى الصواب لا يكون إلا بالخسف والمسح والعذاب .

## ألوان النزعات الاجتماعية

وفي الأمة التي ظهر بها قارون نجد أخلاقاً من الناس يمتاز كل خليط منها بوضعه وفلسفته وأحواله ، هناك أعوان الظلم الذين يتملقون أربابه ويعيشون في ركابه ، يعيشون حواشي للجبارين يزبنون لهم المقايح ويرتكبون معهم الفضائح وهناك أنصار العدل الاجتماعي وحماة الوحي الإلهي ، الذين يستنكرون المظالم ويجهدون في مكافحة الطغيان ويضعون على طرق الشر معالم الخطر حمراء ويصيحون بقارون وغيره « لا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

وهناك العبيد الذين تسقط القوارع على رؤوسهم فلا يستيقظون ويتخذ الكبراء من شعورهم حبلاً ومن جلودهم نعلاً وهم مع ذلك بالدون راضون يحدد الموت وهم في خدمة السادة أبداً فتتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ! وهناك قوم أمرهم عجب يقتربون من بعض هذه الطوائف وليسوا منها ، يرون المال في أيدي غاصبيه من الحرام فيتمنون لو كان في جيوبهم الخاوية ويشتهون أن يقعدوا أمام موائده الحافلة وأن يشتركوا في حفلات النعيم التي تقام وأن يسيروا في مواكب الجاه التي تزحف ، وأن . . . غير أن هذا كله خيال مفلسين فلا الحرمان علمهم العفاف ولا الحظ استجاب لأمانيتهم .

وهذا الفريق من الناس إذا كثرت كان خطراً على الأمة التي تنسكب به لأنه صنف من الفقراء ، يحسب عليهم مع أنه لم يمنع من العدوان والبغى .

*ما ذكره في  
الكتاب من  
الاعتناء  
بالتواضع  
والعطف*

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

LIBRARY

إلا فقدان الوسائل ، فالنفس تطمع والأسباب عاجزة ! هذا الفريق لما رأى  
موكب قارون خارجاً ، استيقظت فيه أطماعه وتحلب ريقه ، ثم جرى بينه  
وبين الفريق الطيب المصالح جدال طريف « فخرَجَ على قومِهِ في زينته .  
قال الذين يُريدونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ، إِنَّهُ لَذُو  
حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ  
صَالِحًا . وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ » .

### مصرع الطاغية

إن المحكوم عليه بالشنق يزداد وزنه قبل أن يلتف الحبل على عنقه ،  
وربما قدمت له أطايب الطعام يزدردوها قبل مهلكه ، والطغاة الذين يحكم  
القدر بعقابهم يزداد ضغطهم على الشعوب المنهوكة . وتتكاثر من حولهم مباحج  
العيش وعناصر القوة . ! أفترى هذا دليلاً على أن القدر يطوى لهم في الغيوب  
صفحات سارة ؟ كلا . إنه تسمين الذبيحة للضحية حتى يقع السكين من جسمها  
على شحم ولحم . . . . وكذلك أبطأت السماء على قارون ثم قالت كلمتها الحاسمة :  
« فحسفنا به وباداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان  
من المنتصرين » وتذكر الحقى ممن كانوا يحسدون قارون ويتمنون حظه ،  
فضربوا كفاً على كف تعجباً ، وشعروا بالراحة لأنهم أفلتوا من مصير فاجع  
« وأصبح الذين تمنَّوا مكانه بالأمس يقولون وَيْىَ كَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ! لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ! وَيْىَ كَانَهُ لَا يُفْلِحُ  
الكَافِرُونَ » .

. . . إن المال نعمة من الله عليك إذا سخرته في إسعاد نفسك وإسعاد  
الناس ، وإذا كسبته من وجوهه الكريمة ثم جعلته ذريعة لبلوغ منازل

النبيل ومدارج الفضل ليس في تطلبه أى حرج ما دام يؤخذ من منابعه  
النقية ليوضع في حقوقه الزكية : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من  
ربكم » . ومن الذى لا يتطلع إليه في هذه الحال ! .

أريد بسطة عيش أستعين بها على قضاء حقوق للعلا قبل  
والجاه الذى يجعلك منبع الجانب مكين القدم مهيب الحق نعمة كبرى  
كذلك . وإنه لمن النوائب المؤذية أن يكون الرجل قليلاً مستضعفاً مروعاً  
بين الحين والحين . ولذا امتن الله على المؤمنين الأولين بما وهبهم من نصر  
وجاه « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم  
الناس فأوأمكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » .

ولم يكن عيب قارون أن كان رجلاً ذا مال وجاه ، ولا عيب الذين تمنوا  
مكانه أن طلبوا المال والجاه . إنما عيب قارون ومن يسرون سيره أنهم توسلوا  
بالمال والجاه للبغي والسطو وإشقاء العباد وإشاعة الفساد . وهذه جرائم يجب  
استئصالها ومصادرة أسبابها ، وقد جاء الإسلام فساق قصة هذا الجبار العنيد  
ثم استخلص منها هذه النتيجة التى يقدمها للناس جميعاً « تلك الدار الآخرة  
نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً » . . .

### حوار بين ممثلى الطبقات

هذه قصة التقى فيها كبرياء الإيمان بكبرياء الطغيان ، واصطدم فيها  
رجلان كلاهما يمثل فكرة خاصة بنى عليها حياته ، وأقام عليها وجوده ، هذا  
يعتز بما أوتى من مال وجاه ، ويجعل منهما أساساً للعلو في الأرض والغطرسة  
على الناس ، والآخر يعتد بما أوتى من إيمان وخلق ، ويرفض كل سيادة  
لباطل تحقر المواهب الإنسانية وتذكر مقاييس المواهب والكفايات ! .

والقصة يستمع لها المسلمون كل أسبوع ، فقد تواضعوا على أن تقرأ  
في المساجد قبيل صلاة الجمعة وعظمتها . . . وكان القدر شاء أن يضرب مثلاً  
حيثاً متكرراً لذهول الناس عن توجيهات الوحي الأعلى ، فألمهم المسلمون أن  
يقرأوا هذه القصة في مساجدهم ليخرجوا من بعدها إلى العمل في بلاد لا تعرف  
فيها إلا كبرياء الطغيان ، ولا تروج فيها إلا أحط المقاييس ، ولا ترفع فيها  
إلا أقل الكفايات ، وهم يحنون رؤوسهم في المساجد خشوعاً مصطنعاً لآيات  
الله ، ويحنون رؤوسهم في المجتمع خشوعاً حقاً للمتألهين في الأرض ، القوامين  
فيها بالجبروت والسطو والمظالم كأنهم لا يعرفون لمن ستكون العاقبة في يوم  
الناس هذا ، أو يوم يبعثون .

جلس الرجل في شرفة قصره يمد بصره إلى الحدائق الغناء المترامية  
حواله ويستمتع إلى خرير الماء في النهر وحفيف الأوراق في الشجر وصياح  
الطيور في الجو فيخال أنها أناشيد ، تغنى بمجده وتسبح بحمده ، ثم يرجع  
البصر إلى الفعلة والخدم المنبئين في جنبات ضياعه الشاسعة وقصره المشيد  
يتمنون رضاه ويسارعون إلى إشارته ويدينون له ، تهمس إليه نفسه أن كل  
شيء على ما يرام وأنه في ضمان وثيق من حاضره ومستقبله ، ولكن خاطراً  
طاف بذهنه عكر عليه هذا الصفو ، لقد ذكر رجلاً آخر من عامة الشعب كان  
إلى عهد قريب لا يعامله إلا معاملة الند للند مع أنه أجبر عنده ولا يذكر له  
ذلك الغنى الحافل إلا بقلة الاكتراث وسوء التقدير أبقى الرجل — ياترى —  
على موقفه العنيد هذا؟؟ وشعر برغبة عميقة في أن يستحضره وأن يستذله وأن  
يكرهه على الخضوع له ، فما هي إلا ساعة حتى كان الرجل الآخر قادماً يمشي  
منتصب القامة براق العينين ألاق الجبين ، ومع أنه عرف لماذا جرى به ؟ .  
وأدرك من ملامح رب الضيعة الرحبة والقصر الفسيح أنه ينبغي قهره وللنيل منه

فقد عزم أن يدخل معه في الصراع إلى نهايته موقناً بأنه لن ينهزم أمام بشر  
ووقعت معركة الكلام بين الرجلين فكانت مثلاً لا يجوز إخفاء عبرته عن  
الناس : « واضرب لهم مثلاً رجلين ، جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحفناهما  
بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ، ولم تظلم منه شيئاً ،  
وفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا وكان له ثَمَرٌ ، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك  
مالاً وأعزُّ نفراً ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال : ما أظن أن تبدي هذه أبداً  
وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رُودتُ إلى ربي لأحيدنَّ خيراً منها مُنقلبا . »

قال الفقير الرجل لجدته المتترف : لو أنك إذا أردت تفخر على قلت :  
أنا أكثر منك عملاً وأعز خلقاً بدل أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ، لربما  
استحق الأمر تفكيراً مني واهتماماً بك أما وأنت تؤسس عظمتك الموهومة  
على هباء فهميات أعترف بها ! ولقد جاءك أكثر هذا المال كما يجيء أمثالك  
من القاعدين على غير ذكاه خارق أو عزيمة ماضية ، فما غبرت في تحصيله  
قدماً ، ولا أعملت في تأثيله يداً ، ولا واسيت من كنوزه ضعيفاً ، ولا قضيت  
من خزائنه حقاً ، وقد يفهم فخرك بمالك وجاهك لو جعلت منهما وسائل  
لكسب المعالي وصنع المعروف وإفادة الناس ! وهناك من يجمعون المال من  
وجوه الحق ليبدلوه في وجوه الحق كما يقول الشاعر في صراحة لا غبار عليها :  
أريد بسطة مال أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي  
فإذا ضاقت ثروة الرجل عن الوفاء بهذه الحقوق تألم لنقص ماله ولكن  
يبقى عزيز الخلق كبير النفس كما يقول الشاعر :

إني وإن قصرت عن همتي جدتي      وكان مالي لا يقوى على خلقي  
لتشارك كل أمر كان يلزمني      عاراً ويشرعني في المنهل الرنق  
أما أن يأتيك المال من حيث لا تحتسب فتقول : ورثته كبراً عن كبر  
ثم تستخدمه في إطفاء شهواتك ، وإرواء نزواتك ، فإن هذا لن يعرضك

إلا اسخط الله ولن يعرض مالك هذا إلا لحق السماء ، فقاطعه الرجل الغني قائلاً :  
ما هذا الذي تثرثر به أيها الأحمق لقد تركتك تهرف طويلاً لأسخر منك !  
ما الذي تحدث به عن الله والسماء وبحق المال ؟ أيسبق إلى وهمك أن هذا  
الثراء العريض ينال منه الزمن « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال : ما أظن  
أن تبديد هذه أبدا . . وما أظن الساعة قائمة . . »

ثم هبنا بعثنا إلى دار آخرة — كما تقول — أتحسب أنك هناك تتطاول  
إلى مقامي أو تصل إلى مكاني ؟ إن الفجوة التي تفصل بيننا ستظل باقية أبدا  
وستبقى أنت الخادم الصغير وأنا السيد الخطير ! إنكم أيها السوقة من معدن غير  
معدننا نحن الكبراء « ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً »

فرد الرجل الفقير مستنكراً . . — من معدن آخر ؟ لعلك خلقت من  
ذهب وخلقنا من خشب ! لئن صح أن الناس يتفاوتون في أصل الخلق فما  
أراك إلا من معدن خسيس وما أراني إلا من معدن نفيس !! فإنني أعاني  
الكثير لأفهمك كيف ترتفع عن هذا الغباء في إدراك الحقائق العليا والدنيا غير  
أننا — للأسف — نرجع إلى أصل واحد وننبثق من نفس واحدة . إنك  
أيها الرجل من تراب ، مبدأ ترد إليه قسراً مهما تطاوت عنه كبراً ! وقد  
يكبر الإنسان بالروح الذي ينقصب به إلى الله والمواهب التي تبذر في تفكيره  
آثاراً من الإلهام الأعلى فكان حياته شعاع ممتد على الأرض من بديع  
السموات والأرض ، لكنك أيها الغبي أنكرت ربك ووجدت نسبك  
فلم يبق من خصائصك إلا أنك تراب يوطأ بالأقدام ، فانظر شناعة ما قلت  
أنفأ « أ كفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ؟ »

« لكننا هو الله ربي ولا أشرك ربي أحدا » لقد حررت نفسي من أصار  
الناس لما علمت أنني عبد الله وحده ولن أعترف بسيادة في السكون إلا لرب

الكون ، إنني رجل حر فإذا حاولت أن تستعبدني لعظمتك فسأبصق على  
أوهيتك !!

اعترف بأنك عبد لله كغيرك من الدهماء أو العظماء فإذا رأيت حولك منه  
نعمة سابقة وفضلاً كبيراً فقل « ماشاء الله » لا ماشئت أنا وأردف الإقرار  
بسطوة الإرادة العليا إقراراً كذلك بجلال القوة العليا « لا قوة إلا بالله »  
ثم اعلم أن السراء والضراء دول !! لقد نام الصعاليك عن حقهم فأبطروك ،  
والويل لك يوم يستيقظون ! عندئذ يتحول غناك إلى الأنفاس الذين يشتغلون  
عندك فتصبح فقيراً معهم ، أو يصبحون أغنياء معك ، أو يثبون عليك وثبة  
غضب لما أوقعت بهم من مظالم فيحتازون هذه الثروة دونك . وكم من شعوب  
تنهت لغضبها وثارَت بهم ثورة مدمرة لم تهدأ حتى آتت نتائجها كاملة فإذا  
بهم يسمعون صوت السماء : « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً  
لم تطوؤوها ، وكان الله على كل شيء قديراً » . فإذا حسبت أن من ترى من عبيد  
الأرض سينامون على الضيم أبداً ، فاعلم أن جبار السماء لن يسكت على هذه  
القوضى : « إن ترّين أنا أقل منك مالاً وولداً ، فعسى ربّي أن يؤتيني خيراً  
من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً ، أو يصبح  
مأواها غوراً فلن تستطيع له طلباً » .

إن للمظالم عمراً معيناً تفنى عنده وتبيد . وقد ترخى الأقدار العنان لبعض  
الناس فيستبدون ويفسدون ، وليس يحدث هذا عن إهمال معيب ، بل إنه  
يحدث عن إهمال مقصود يرتبط سره بسر الحياة نفسها ، وسر الحياة قائم على  
الاختبار والتمحيص وتكليف البشر أن ينشدوا السكالم في أعمالهم وأنظمتهم  
وأن يدفعوا ثمرة ذلك من دماهم وجهودهم . فإذا تظلمت أمة واضطربت  
أمورها ولم يرجع ظللها عن غيها ، ولم ينتصف مظلومها لنفسه ، تداخات الأقدار



في مصير هذه الأمة بما يؤدّب ظالمها ومظلومها على سواء . وللقدر في ذلك أساليب شتى . . .

أما إذا نهض المظلوم وكافح وهتف بربه : « إني مغلوبٌ فانتصر » فإن ميزان الحياة يعود إلى الاستقامة والاعتدال ويتخلص العالم مما عراه من توقف وارتباك .

وفي قصة هذا الطاغية ترى أن الخذر أتى من مأمنه . إن أرضه الشاسعة تخلف عنها الماء فماتت عطشاً أو جاءها الماء ولكن لحقتها آفات السماء فضاع المحصول وذهبت الجهود لجمعه عبثاً : « وأحيطَ بشمره !! فأصبح يُقَلَّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا نَفَقَ فِيهَا وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشركُ برَبِّي أحداً » وهكذا ذهبت الجفنة التي قال صاحبها عنها يوماً : « ما أظنُّ أن تبيد هذه أبداً » .

ذهبت بما أوحى من جبروت ، وأثارت من طغيان ، وأحس صاحبها بالجزع أن كان مشركاً ، وبتنُّ أشرك ؟ لقد أشرك مع الله نفسه ! أراد أن يكون معه إلهاً يستذل العباد والبلاد ! . فلما حلَّ به غضب الله — وطالما أنكره — نظر إلى ماله فلم يجدده ، واستصرخ نفره فلم يدركه صريح : « ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان منتصراً ، هنالك الولاية لله الحق هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً » .

سنة ١٣٢٤ هـ  
سنة ١٣٢٥ هـ  
سنة ١٣٢٦ هـ  
سنة ١٣٢٧ هـ  
سنة ١٣٢٨ هـ  
سنة ١٣٢٩ هـ  
سنة ١٣٣٠ هـ  
سنة ١٣٣١ هـ  
سنة ١٣٣٢ هـ  
سنة ١٣٣٣ هـ  
سنة ١٣٣٤ هـ  
سنة ١٣٣٥ هـ  
سنة ١٣٣٦ هـ  
سنة ١٣٣٧ هـ  
سنة ١٣٣٨ هـ  
سنة ١٣٣٩ هـ  
سنة ١٣٤٠ هـ  
سنة ١٣٤١ هـ  
سنة ١٣٤٢ هـ  
سنة ١٣٤٣ هـ  
سنة ١٣٤٤ هـ  
سنة ١٣٤٥ هـ  
سنة ١٣٤٦ هـ  
سنة ١٣٤٧ هـ  
سنة ١٣٤٨ هـ  
سنة ١٣٤٩ هـ  
سنة ١٣٥٠ هـ  
سنة ١٣٥١ هـ  
سنة ١٣٥٢ هـ  
سنة ١٣٥٣ هـ  
سنة ١٣٥٤ هـ  
سنة ١٣٥٥ هـ  
سنة ١٣٥٦ هـ  
سنة ١٣٥٧ هـ  
سنة ١٣٥٨ هـ  
سنة ١٣٥٩ هـ  
سنة ١٣٦٠ هـ  
سنة ١٣٦١ هـ  
سنة ١٣٦٢ هـ  
سنة ١٣٦٣ هـ  
سنة ١٣٦٤ هـ  
سنة ١٣٦٥ هـ  
سنة ١٣٦٦ هـ  
سنة ١٣٦٧ هـ  
سنة ١٣٦٨ هـ  
سنة ١٣٦٩ هـ  
سنة ١٣٧٠ هـ  
سنة ١٣٧١ هـ  
سنة ١٣٧٢ هـ  
سنة ١٣٧٣ هـ  
سنة ١٣٧٤ هـ  
سنة ١٣٧٥ هـ  
سنة ١٣٧٦ هـ  
سنة ١٣٧٧ هـ  
سنة ١٣٧٨ هـ  
سنة ١٣٧٩ هـ  
سنة ١٣٨٠ هـ  
سنة ١٣٨١ هـ  
سنة ١٣٨٢ هـ  
سنة ١٣٨٣ هـ  
سنة ١٣٨٤ هـ  
سنة ١٣٨٥ هـ  
سنة ١٣٨٦ هـ  
سنة ١٣٨٧ هـ  
سنة ١٣٨٨ هـ  
سنة ١٣٨٩ هـ  
سنة ١٣٩٠ هـ  
سنة ١٣٩١ هـ  
سنة ١٣٩٢ هـ  
سنة ١٣٩٣ هـ  
سنة ١٣٩٤ هـ  
سنة ١٣٩٥ هـ  
سنة ١٣٩٦ هـ  
سنة ١٣٩٧ هـ  
سنة ١٣٩٨ هـ  
سنة ١٣٩٩ هـ  
سنة ١٤٠٠ هـ

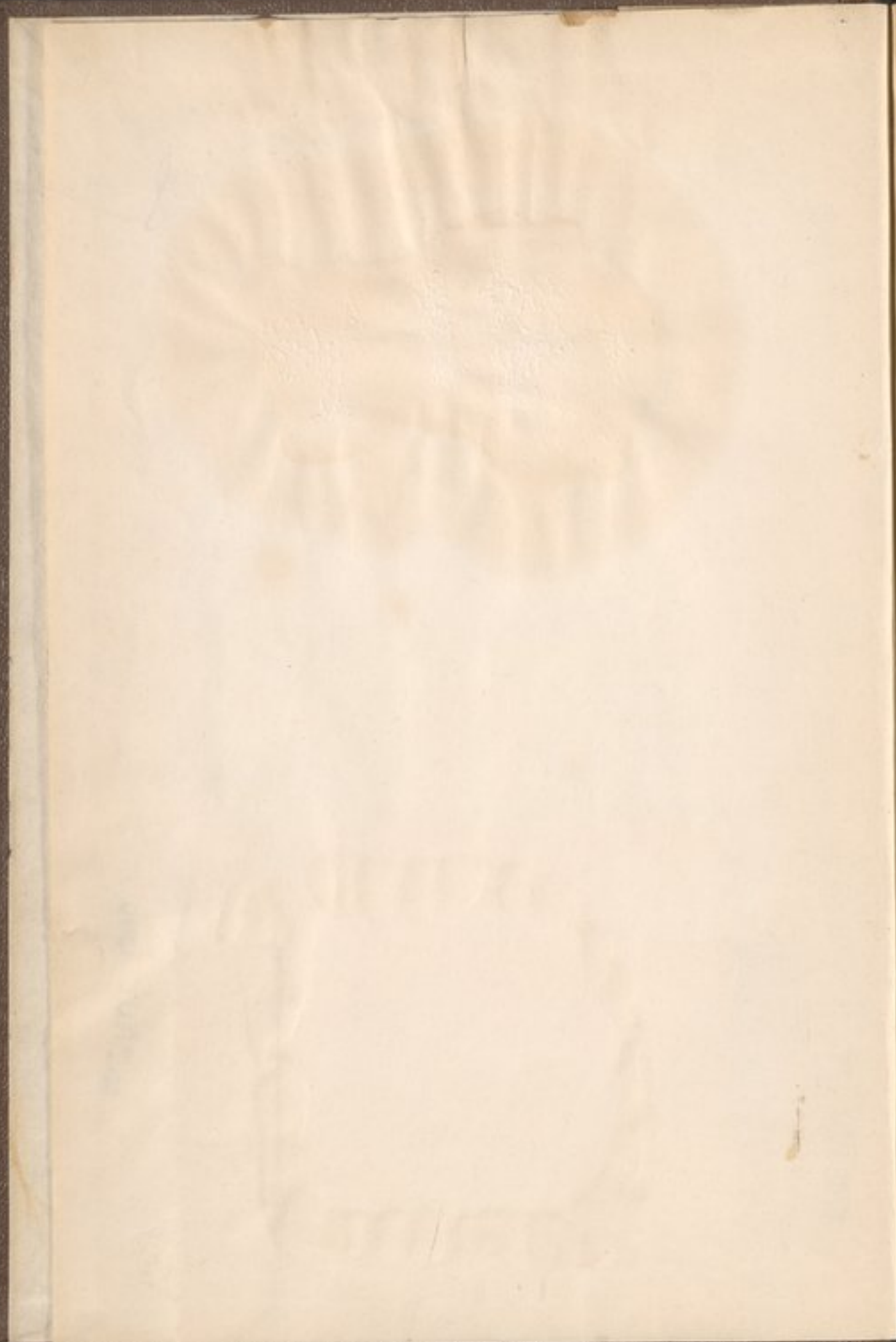
في فجر الحياة كان الدين إلى جانب الطبقات الفقيرة يتظاهران معاً ضد الرأسمالية الباغية ، فما الذي عكس الأحوال؟! فأصبحت الرأسمالية الآن تظاهر الدين ، والاشتراكية تنابذه العداة ! .

ألا فليفهم الناس حقيقة الدين وطبيعة الدنيا حتى تمحي من تاريخ البشرية هذه المفارقات .



٥٨	...	...	...	...	...	الأخوة نظام يقرر لا نصيحة تقال
٥٨	...	...	...	...	...	تسكافق القرمس
٦٠	...	...	...	...	...	حقوق لا مرء فيها
٦٢	...	...	...	...	...	سياسة الوظائف
٦٣	...	...	...	...	...	استغلال النفوذ وانبهاز القرمس
٦٧	...	...	...	...	...	نماذج للعدالة في الإسلام
٦٨	...	...	...	...	...	أبو ذر لم يكن شيعياً ولا رأسمالياً
٧٩	...	...	...	...	...	المران : ابن الخطاب وابن عبد العزيز
٨٠	...	...	...	...	...	استغلال نفوذ الحكم
٨١	...	...	...	...	...	حرفية النصوص والمصلحة العامة
٨٢	...	...	...	...	...	سياسة الفاروق الاقتصادية
٨٤	...	...	...	...	...	رجل زاهد في بيئة مترفة
٨٥	...	...	...	...	...	ردوا المظالم أولاً
٨٦	...	...	...	...	...	الضرورات ثم الكماليات
٨٩	...	...	...	...	...	الفقه الإسلامي يسير التطور الاقتصادي
٩٠	...	...	...	...	...	لا شيعية في الإسلام
٩٤	...	...	...	...	...	استدراك
٩٦	...	...	...	...	...	مبدأ الملكية بين التقييد والإطلاق
١٠٠	...	...	...	...	...	هنا تفرق
١٠٢	...	...	...	...	...	أفي المال حق غير الزكاة
١٠٤	...	...	...	...	...	أنصبة الزكاة حد أدنى
١٠٥	...	...	...	...	...	على ضوء الفقه
١٠٨	...	...	...	...	...	أغنياؤنا في ميزان الرجولة
١٠٩	...	...	...	...	...	نذالة
١١١	...	...	...	...	...	تناج
١١٢	...	...	...	...	...	الديمقراطية الحقة
١١٣	...	...	...	...	...	نظام واجب
١١٥	...	...	...	...	...	العقده التي يجب أن تحل
١٢٢	...	...	...	...	...	الرأسمالية الشرقية لا تستحق احتراماً
١٢٩	...	...	...	...	...	رجولة ليس لها في بلادنا نظير
١٣٣	...	...	...	...	...	المتحدث الرسمي باسم الإسلام
١٣٤	...	...	...	...	...	حرية الرأي
١٣٧	...	...	...	...	...	فتوى من البرج العاجي
١٣٩	...	...	...	...	...	هذه آراء شخصية
١٤١	...	...	...	...	...	لبيجار الأرض
١٤٢	...	...	...	...	...	اتجاهات اشتراكية يقول بها الإسلام
١٤٤	...	...	...	...	...	الحلال والحرام

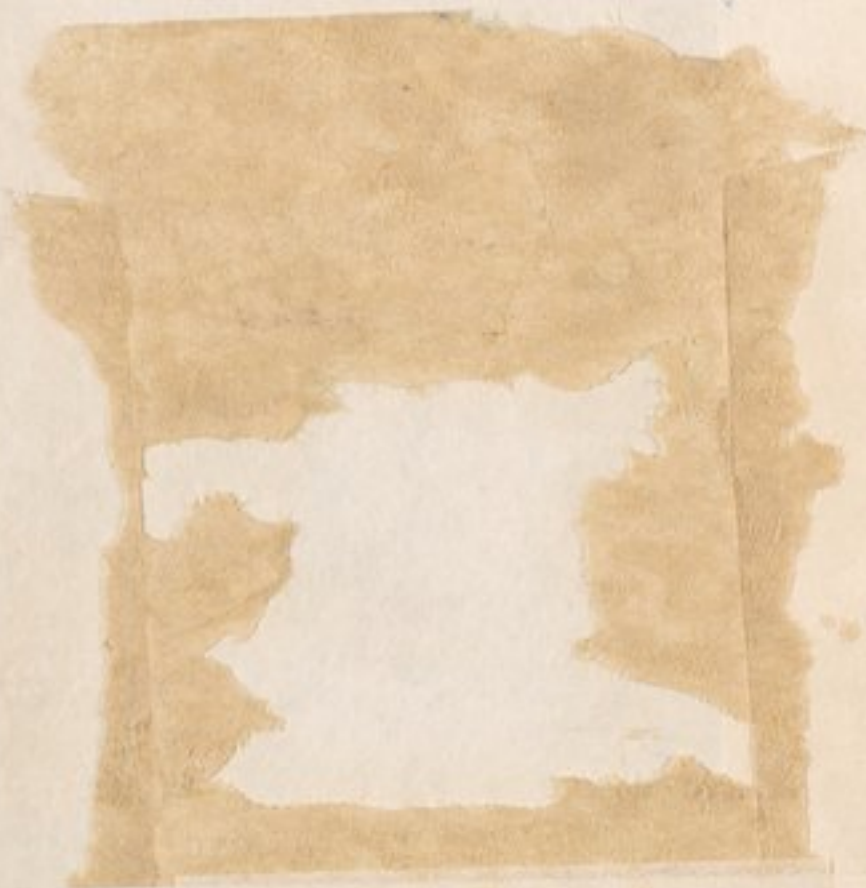






B 1223 2701

i 1353 4452



1 0 0 0 0 1 1 3 2 3 8

